

# مقالات في الادب

اعداد

علي حسن العبادي

محمد المتصور الشقراء



اشراف لجنة النشر بالنادي

مطبوعات نادي الطائف الادبي

تلفون ٢٣٧٧٦



## في الأدب والحرب

بقلم : الاستاذ حسين سرحان

### تمهيد

هذه خطرات كانت تجول بالنفس ويشتغل بها الذهن ، لغلبة ذكر الحرب على الفكر ، وغلبة ذكر الأدب أيضا ، وان كان الأدب — في الواقع — لا يهم الناس أكثر مما تهمهم الحرب .

وقد آثرت أن أقيد شاردتها وأصيد خاطرها — على حد تعبير ابن الجوزي — وفضلت بعد ذلك أن أترسل فيها ترسلا استطراديا لا ضيق به ولا تكلف فيه ، فذلك كما رأيت خير من تقييدها في قماقم العناوين وحبسها في أبواب وفصول قد تند عنها ولا تجتمع عليها .

وقد سن ذلك كتابنا الأولون كالجاحظ وابن الجوزي ، وسنها في الكتاب المحدثين الدكتور طه حسين وغيره .

وكل ما أستطيع أن أقول فيها أنها كلمات ملقاة على عواهنها ، فلم أترو كثيرا ، ولم اتعمق في بحث الفكرة أو ادارة الرأي على شتى وجوهه واحتمالاته .





للبطولة معان كثيرة منها اللغوي ، ومنها الاصطلاحي ، فهناك البطولة التي يتحدث عنها ويترجم لها ( بلوتارخوس ) في كتاب أبطاله ، وهناك بطولة يتغنى بها ويمجدها ( هوميروس ) في اليانثي وهاتان البطولتان متشابهتان ، فقد كادت أن تكونا خيالا محضا بل كانتا كذلك على خير صورة ، فما الخيال ان لم يكن في الصراع مع الالهة والتنانين والشياطين وغير ذلك من اغراق وتهويل .

هذه البطولة لسنا منها بسبيل ، وهناك بطولة تخرج من التاريخ وترجع اليه على نحو ما فعل ( توماس كارلايل ) في تراجم أبطاله ، وهي بطولة حسنة تقوى بالتاريخ وان كان لا يعيها الا يتحدث التاريخ عنها ، فهي بطولة انسانية واقعية تدخل في نطاق الامكان ولا تسمو عليه .

وللدب العربي قسط كبير من هذا المثال الأخير ، وله كذلك نصيب وافر من المثال الأول تجد خير نماذجه وأهولها في حرب البسوس وابن ذي يزن وعلي ابن أبي طالب في فتح اليمن وأبي زيد الهلالي وما إلى ذلك من أمثال واساطير .

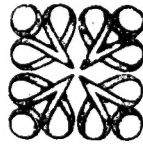
والبطولة — قبل ذلك وبعده — ليست بالموهبة التي لا تتأتى الا بمعجزة ، ولا يسلس عنانها الا بعد اجهاد وتذليل . وما أريد أن أتعسف في البحث والتحليل فأفعل كما يفعل كثير من الكتاب والمؤرخين ، فمن هؤلاء من يرفع البطل الى درجة الاله ومثال ذلك قريب ، فهذا لبیب الرياشي يكتب عن النبوغ كتابا متوسط الحجم فيرفع فيه نابليون بونابرت الى ذرى آلهة الأولمب ويسهب في وصف الدماغ وهيئته وكيفية استقراره في هدوئه واشتغاله بالتفكير ، ومواده السنجابية والنخاعية والشوكية ، وكيف يضطرب الجهاز العصبي ، ومم تتكون خلايا المخ في رأس النابغة — أي البطل — فكل ذلك — ولا امترأ — ذهاب بالبطولة في غير مذاهبها ، وخروج بها عن نطاقها المحدود وحذقة تسمح بقلم الكاتب ولا تحسن في عين القارئ . لا أريد أن أصغر من شأن البطولة ، ولكي أريد أن أقول أنها حميمة في الطبيعة الانسانية ، فليست هي بنوة لا تأتي الا من السماء ، ولا هي بالطلسم السحري الذي لا يأتي الا من العفاريت والشياطين ، وما أحسب ان انسانا بالغاً ما بلغ من الجبن والهلح يخلو من قسط — ولو ضئيل — منها ، فان الجبان ليقاقل أشد قتال واعنفه اذا اعتبط في ماله او ولده او استلب في أهله او نفسه ، وهو ان لم يقاتل قتالا ايجابيا ، فلا أقل من أن يذهب الى المحاكم ويجأ الى الولاة ، ويعدو هنا ويصرخ هناك ويذهل عن كل ما حوله . فلا يعنيه أي شيء ولا يحسب حسابا لكل شيء .

والانسان مقيد بمكانه وزمانه حيث كان ، فكم من بطل مات مغمورا مجهولا  
لان الزمان لم يسمح له بابرار بطولته او لان مكانه كان اضيق من ان يتسع لها  
او لمثلها .

فجنكيزخان — مثلا يعد من ابطال التاريخ وجبابرة القرون وقد كان زمانه  
ملائما كل الملاءمة لخروجه ، وكانت كل الممالك في عصره اثبه بدويلات اقطاعية  
تتراكض سراعا الى هوة التدهور والفناء ، ولكن تصور جنكيزخان لو انه خرج  
في عصر عمر بن الخطاب او عصر هتلر وتشرشل — ماذا كان ينتظر لمثله ؟ ..

والزمان هو الذي يوجد البطولة والابطال ، فقد يتقدم الصفوف ويرؤسها  
بطل مجهول منشؤه مغمور مركزه ضعيف في معرفته وسعة نظره ، ولكن الزمان  
يصلح له ، ولا يصلح لسواه . وما نحن بحاجة الى ان نأتي بالامثال ، وان كانت  
سهلة المثال . .

وهناك بطل ذو ملكة اصيلة واستعداد فطري ، ولكن زمانه يشمس عليه  
فلا يؤاتيه ، او مكانه ينبو به ويزور عنه فلا يجريه في مجاريه .



النافعة والعبقري والموهوب والمبرز والممتاز والبطل — هذه كلها — فهي نظري — بمعنى واحد ، فهي مترادفات في اللفظ سواء في المعنى فما البطل ان لم يكن مبرزاً على أقرانه يشأوهم فلا يجارونه في ميدانه .

وقد أباح ذلك الكتاب المحدثون ، وتداولوا الاستعمال وتوسعوا في الاصطلاح ، وهم على حق مبين ، فالبطل هو البطل في الكرة أو في السباحة أو البلياردو أو في الطيران أو في الكتابة أو في الشعر أو في القيادة أو في استراتيجية رسم الخطط أو في غير ذلك من الأعمال التي يزاولها الانسان فيحسن مزاولتها حتى يتفوق فيها ، وقد يجوز أن يكون هناك أكثر من بطل واحد في عمل واحد تشعب هذا العمل الى فروع جزئية ، أو لأن درجات البطولة فيه تتفاوت وتتراوح — على نسبة معروفة — بين الحسن فالأحسن فالأكثر احساناً فالجامع لكل قصبات الاحسان ، ففي الطب — مثلاً — أبطال كثيرون فهناك بطل في اكتشاف الأمصال ضد الجراثيم ، وبطل في التحليل وآخر في الجراحة ، وغيره في نفاذ الفحص ومثله في المعالجة الى ما لا آخر له .

وقد كان هناك بطل في الفكاهة والمنادمة وحسن التخلص من المواقف الحرجة ، وهو أبو دلالة المعروف في الأدب العربي وقد ود الاستاذ معروف الرصافي في ديوانه أن تكون الحرب في آخر الزمان على غرار جلاد وقع بين أبي دلالة وقريع له اضطر الى نزاله فنزله وتحدث اليه واكل معه في ساحة المبارزة ثم صرفه بحسن حديثه وحلاوة منطقه وأخذ عليه عهداً الا يبارز طيلة ذلك اليوم ، وقصتهما مشهورة في كتب الأدب العربي وذلك موقف نادر من مواقف الحرب يحسن أن يكون بين المتحاربين اذا مدت بينهم الموائد الشهية وانقلب ميدان الصيال الى حفلة قصف حافلة .

وهناك بطل آخر في الجبن — وما له الا يكون بطلاً في الجبن ؟ ذلكم هو حسان ابن ثابت ، فقد استنجدت به صحابية أن ينزل فيقتل مشركاً — أو يهودياً — ساورهم تحت الحصن ، فقال : ليست لي به قوة ، فنزلت الصحابية الباسلة اليه وهرست رأسه بعمود — أو حجر — وقالت لحسان اذهب اليه فخذ سلبه فقد كفيت ، قال اني أخشى أن يكون به رمق فيفتك بي ، فنزلت اليه ثانية واستلبته ، فكانت أحق به ، وليس عندي مرجع لهذه القصة ، وانما اختلستها من الذاكرة ، وهي مشهورة .

وأحب أن يعلم القارئ الكريم أنني اكتب وأنا أعزل من كل أداة تستعمل في البحث والمراجعة ، فليس لهذا الكتاب مراجع أو مصادر ولن يجد القارئ في آخره ثبناً بها أو جدولاً لها ، وليس بيدي الا كتابان من اللغة هما فقه اللغة للثعالبي والمصباح المنير للمعري .



في قول مأثور أن كل فضيلة تتوسط بين رذيلتين فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور والكرم وسط بين البخل والاسراف والبلاغة وسط بين العي والثثرة ، وهكذا ، فالفضيلة — اذن — تقع في مكان ضيق يصعب تحديده بدقة ، ولا تكاد تنخفض قليلا حتى تعود رذيلة ، ولا يوشك أن يرتفع بها صاحبها حتى تنعكس الى رذيلة ايضا .

وأرى أن هذا القول على صواب كبير ، فإن الطبائع والأمزجة الانسانية ، وإن كانت أصيلة مستحكمة إلا أنها لا يمكن أن تخلو من الشوب والخلط أبدا ، وكما أنه لا يوجد شيء طر ح خالص في المادة ، فكذلك لا يمكن أن يوجد شيء من ذلك في المعنويات والروحيات .

والطبيعة الانسانية من الصعب أن تحكم عليها حكما دقيقا أية كانت فانها تهدأ وتثور وتعتدل وتخور وتسمو وتفسد وتصلح وتفسد ، وتتقلب عليها كل الحالات الطارئة ، وتكيفها تبعا لأزمانها ومؤثراتها وأهوائها وأجوائها ، وما هي الطبيعة الانسانية ؟ أليست هي كالعجينة الرخوة اللينة لا تكاد تتماسك من جانب حتى تتهايل من جانب آخر .

إن الجبان الهلوع تمر به حالات شاذة يكاد يفترس فيها الأسود ، وإن الشجاع المقدام تتنابه — أحيانا — نوبات لا يكاد فيها يقل نفسه من الفزع وإن أكثر البخل تهزه الأريحية — لعله ما — فتندى راحته بالعطاء الجزل وتنبسط أساريه بالسماحة والبذل ، وإن الجواد الكريم ستأتي عليه ساعات لا يكاد يبغى فيها بقطرة من ماء .

كل هذا واقع ، وكل ذلك حق ، ولا ملام ولا تثريب على من توسط ولا على من أفرط أو فرط ، أليست الفضيلة وسطا بين رذيلتين ؟ فالجبن أقرب شيء الى الشجاعة ، والبخل جار قريب الدار من الكرم ، ولن تكون عالما فاضلا إلا بعد أن تقضي زمنا في الجهل والغفلة ولن تصبح سيذا إلا بعد أن تكون مسودا ، وأنت أيها الفاضل إن هبطت قليلا كنت مفرطا ، وإن صعدت يسيرا جئت مفرطا ، فتوسط واختر إن كان لك في الأمر خيار ، والا فدع كل شيء للأيام والأقدار .

إن مقاييس الاخلاق لا يزال فيها من الخلل والاضطراب والنقص الشيء الكثير وليست هناك فضيلة اتفق عليها أو أخذ بها في كل العالم ، فما نراه نحن فضيلة قد يكون رذيلة عند غيرنا ، وما يراه غيرنا رذيلة قد يكون فضيلة عندنا ، ومرجع هذا الى اختلاف الأدواق وتباين الأمزجة والطباع وتفاوت طبقات المدارك والتفكير عند الأمم .

وما هذه الألفاظ إلا مصطلحات — فقط — لهذه المعاني ، وهي معاني عرضية

زائلة لا تكاد تستقر حتى ترحل ولا يكاد الذهن يلم بها حتى تفلت منه وتتعضى عليه ففي هذه الألفاظ صور تقريبية لمعانيتها ، ولكنها لا تعطيك المعنى تاما ، لا تؤديه اليك أداء واضحا ، فالصدق مثلا يكون خيرا في بعض الأوقات ، ولكنه يكون شرا في أوقات أخرى اذا جلبت به عذابا على نفسك أو على غيرك .

والبطل — على هذا — ان أسف أصبح جبانا وان اندفع كان متهورا ، وقد عرف العرب ذلك من قديم ، فقالوا الشجاع من اذا رأى الخير في الاقدام أقدم ، وان رأى الخير في الاحجام أحجم .

وقد أحجم كثير من أبطال التاريخ في مواقف الاحجام فما وصفوا بجبن أو هلع وبخل كثير من الأجواد فما استطاع أن يصفهم أحد بأنهم كانوا شحاحا . وصمت قوم من البلغاء في مواطن كثيرة ، فما عدوا من ذوي العي والفهاهه .

قليل لبطل ، ما الشجاعة ؟ فقال اعمد الجبان فأضربه ضربة ينخلع لها قلب الشجاع فقلب الشجاع — اذن ينخلع ، اذا رأى الضربة التي تطير لها النفس شعاعا .

وقيل لآخر — وأحسبه عنتره — كيف لك بهذه الفروسية ؟ فقال للمتحدث اليه السائل له : هات ذراعك لأعضها ثم أخذها فعضها فصرخ ذلك متألما ، قال عنتره هاك ذراعي فعض وأجهد ما استطعت ، فعض ثم عض مليا ، وتركها قائلا : لقد تعبت ، قال له عنتره : لو عضضت قليلا لصرخت من الألم فالشجاعة هي الصبر ، الصبر الطويل .

نعم . الشجاعة هي الصبر ، وما الشجاعة بلا صبر ؟ وقد قال موسوليني في خطابه الأخير في أول السنة الميلادية ١٩٤٣ م . ان الظافر في هذه الحرب هو الذي يستطيع أن يصبر ربع ساعة بعد عدوه ، وقد سبق موسوليني من سبقه في المقاتل والفعال .

ان الاتقدام على الموت ما هو — في الواقع — الا طلب للحياة كما ان الفرار منه طلب لها أيضا ، فالغاية واحدة ، ولكن الوسيلتين مختلفتان . قال شاعر بطل : قل للجبان اذا تأخر سرجه هل انت من شرك المنية ناجي ؟ وقال آخر :

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد      لنفسي حياة مثل أن أتقدما  
وقد أشار الى ذلك المتنبي العظيم الذي لا يكتفي بقشور المعاني ، وانما ينفذ الى اللباب ويتغلغل الى صميم الطبيعة الانسانية . قال :

أرى كلنا ينفى الحياة لنفسه      حريصا عليها متهاما بها صبا  
فحسب الجبان النفس أورده التقى      وحب الشجاع النفس أورده الحربا  
ويختلف التهجان والشيء واحد      الى أن يرى احسان هذا لذا ذنبا  
وللمتنبي بدائع وروائع في هذا الباب ، والادب العربي حافل أيضا بالشيء الكثير منه .

في الحياة أباطيل كثيرة ، أصبحت اليوم حقائق لا يتطرق الشك إليها ، ولا يعلق بها ، كما أن فيها حقائق صحيحة عادت الآن في عداد الخرافات والأساطير .

والعجب العجيب في أمر هذه الحياة أنها تسع كل شيء ، ولا تضيق بأي شيء فهي فسيحة الجوانب ، واسعة البطن ، رحيبة الآفاق ، فالحسن والقبح فيها يتفان ، وقلما يختلفان ، والصحيح والزائف يقتربان وهونا ما يفترقان ، وكل شيء تجد نقبضه على قاب قوس إلى لا ينبو به ولا يبتزم منه ، ولعل ذلك هو السر في دوام هذه الحياة واستمرارها ، فهي حياة زاهرة كل شيء فيها يحيا ، الصالح يحيا ، والفاقد يحيا والزمان يدور على كل ذلك بعجلته فيأخذ ما يأخذ ويدع ما يدع وكأنها هو لا يأخذ ولا يدع .

وأحسب أنها لو لم تكن كذلك . لما كانت خليفة باسم ( الحياة ) وهو اسم على مسماه ينطوي على كل شيء ، ويتسع لكل مارق وماجن .

يذكر التاريخ من الجبابرة والفاثحين هانيبال ، وبختنصر والاسكندر ، وعمر ابن الخطاب ، وخالد ابن الوليد ، وموسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وقتيبة ابن مسلم وعبد الرحمن الداخل ، والمعتصم ، وصلاح الدين ، وتيمورلنك ، وهولاكو ، وجنكيز ، وسليمان القانوني ، ونابليون وغير هؤلاء ممن لا يدخلون تحت حصر .

لكن التاريخ لا يذكر الملايين من الأبطال الغطاريف الذين قام كل من هؤلاء على اكتافهم ، وبأسياهم فتحوا البلدان وبشجاعتهم دان لهم القاصي والداني وذلك الصعب ودنا البعيد والذين لولاهم لما استطاع واحد من أولئك أن يتمتع بشهرة تخرق حجب التاريخ ، ولا استطاع — قبل ذلك — أن يدير بلدا أو يفتح أقلية أو يهزم عدوا .

لا ريب أن القائد هو الروح المحرك لأولئك الجنود ، فهو الذي يرسم الخطة ويدير الأمر ، ويملك ناصية القيادة والتدبير ، ولكنه يفعل كل ذلك ، وهو تابع في سرادقه أو إيوانه أو عاصمته ، والقوة التنفيذية هي أولئك الجنود الأبطال الذين ينفذون تلك الخطة تنفيذا دقيقا ، ويلاقون في سبيل ذلك الأرزاء والأهوال ، ويبيعون الأرواح بيع السماح ، ويقدمون على النار والموت والكوارث في رباطة جأش وقوة شكيمة واستبسال قادر المثل حتى إذا تم ذلك كله ، أو تم شيء منه لمع اسم القائد فجأة ، وانطفأت أسماء أولئك الملايين من الأبطال المجهولين .

وأحسب أن ذلك هو السبب في بناء الأضرحة المختلفة في عواصم أوربا اليوم

للجندي الجهول وهو تعويض خير ما فيه أنه يذكر باسم ذلك الجندي الجهول العائر الحظ .

هذه أبطولة من أباطيل الحياة التي قلنا أنها أصبحت اليوم من الحقائق الخالدة يتحتم الايمان بها من دون أن ينتطح — في ذلك — عنزان .

وهذه الحياة معترك كبير ، وتزاحم بالمناكب ، وتدافع بالأيدي والأقدام وامتحان لكل المواهب والملكات ، فمن ضغط وتحمل الضغط ، وصدم ، ولم يحفل الصدام وتقدم ولم يكثرث ما أمامه — أشوكا كان أم وردا — شأى أو انل ويزهم في الضمار ، وكان السابق المجلي الذي لا يشق له غبار — كما يقولون — وان لم يكن ذا صلاحية تامة واستحقاق للتقدم وتبريز في أي شيء ، واذا دنى الصالح للتقدم ، وغلب عليه الكسل والتباطؤ ، وكان أضعف من أن يتحمل صدمها أو كدما ، فهو السكيت في حلبة لا يبرز فيها الا المغامرون المواظبون ، والحياة نفسها أعظم وأوسع من أن تحفل بمن تقدم أو من تأخر أو تأبه لغالب أو مغلوب ، ذلك لأنها عجلة طاحنة تهضم كل شيء من خلاصات ومن فضلات بلا تمييز ولا استبقاء . .

وكان خليقا بحياة كهذه ألا يكثرث الانسان الحي فيها بكل شيء ، وأن يأخذها على علاتها بلا تفكير ولا استقصاء ، لولا أنه مرغم — يثيره كل ما حوله ، وتحفزه الصفائر قبل الكبائر ، على أن يحفل وأن يكثرث وأن يحسب لها أوفى الحساب وأدقه ، وأن يهتم بكل جليل منها ودقيق . .

ولو صح لكل انسان أن يعيش مثاليا خياليا لرأى أن الحياة ليس فيها ما يستحق الجد والتفكير ، والاهتمام ، ويفسل يده من كل شيء ، ودخل محرابا للصلاة ، أو معبدا للاعتكاف وكانت تلك خاتمة المطاف .

## اخيرا

كتبت هذه الرسالة قبل ٣٥ سنة اثناء الحرب العالمية الأخيرة ، وأنا أقدمها الى القارئ الكريم ، كما كتبت دون تعديل أو تبديل أو حذف أو اضافة سوى هذه الكلمة أردت منها الايضاح للقارئ الكريم ان هذه الرسالة ليست حديثة الكتابة .



## هل للشعر مكان في القرن العشرين ؟

بقلم الدكتور : غازي القصيبي

أود أن أبدأ بالرد على الذين يعتقدون رأيا متطرفا حول مكان الشعر في القرن العشرين ، وهم فريقان . فريق يرى أن دولة الشعر دالت في هذا الزمان ، زمان الصاروخ والمركبات الفضائية والعقول الالكترونية ، وأن مكان الدواوين الطبيعي في المتاحف التي يعلوها الغبار ، وأن تذوق الشعر وإنشاده وكتابته ظاهرة شاذة غير عملية في عصر لم يعد فيه مكان الا لما هو نافع وما هو عملي .

والرد على هذا الفريق أيسر من اليسير . ان استقراء الواقع الملموس المشاهد يؤكد أن الشعر لا زال يكتب والدواوين لا زالت تباع وأن **للشعر قراء وللشعراء جمهورا سواء كان ذلك في الغرب أو في الشرق أو في الدول الآخذة بأسباب النمو في العالم الثالث** . ومن هنا كان لنا أن نقول بدون مكابرة أن الذين يبشرون بانقراض الشعر في هذا القرن يتبجحون بدعوى لا يقوم عليها برهان ، بل يتبجحون بدعوى يكذبها ما أماننا من براهين .

أما الفريق الثاني فيذهب في تطرفه عكس ما ذهب اليه الفريق الاول فيدعي **للشعر حجما أكبر من حجمه الحقيقي** ويتصور **للشاعر رسالة لا يمكن أن يقوم بها شاعر** . وهذه المبالغة في دور الشعر تعود في رأيي الى سببين : أولهما أن مروجي هذه النظرية كثيرا ما يكونون من الشعراء أنفسهم ، ومن عادة المرء التي توشك أن تكون غريزة **أن يبالغ في قيمة ما ينتج** ، أو من نقاد الشعر فيرون في التعظيم من شأن ما ينتقدون تعظيما تلقائيا من شأنهم ، أو من الادباء بوجه عام فيرون أن في تضخيم دور الشعر تضخيما لدور الادب ، ولدورهم هم .

ويعود السبب الثاني الى اعتقاد بعض أنصار النظرية بأن دور الشعر لا يتغير بتغير الزمان والمكان . يقول هؤلاء : **لقد كان الشاعر في العصر الجاهلي لسان القبيلة وسيفها** ، وفي صدر الدعوة الاسلامية علم الدعوة وقلمها ، وفي مختلف عصور التاريخ العربي ، عاملا مؤثرا **يمدح فيرفع ويهجو فيضع ويدعو فيثير** ، فما بال شاعر اليوم لا يمارس دورا كدور أسلافه أو أعظم من دور أسلافه ؟

وحقيقة الأمر أن **الشعر وليد بيئة اجتماعية ثقافية سياسية اقتصادية معينة تنعكس عليه** ، شاء أم رفض ، وتؤثر فيه أكثر من تأثرها به . وحقيقة الأمر أن بيئة القرن العشرين ترفض أن تعطي الشاعر ذلك الدور الكبير الذي تمتع به في بيئات سابقة . وتفصيل ذلك يطول . وموجزه أن البيئات العربية الغابرة لم تعرف الاذاعة ولا التلفزيون ولا الصحف ولا المطابع ولا الأغاني ، فكان الشاعر العربي يقوم بمفرده بما تقوم به هذه المؤسسات من ادوار . أما وقد تطور المجتمع وتعددت منظماته

وتعددت مؤسساته فان دور الشاعر انكمش وتقلص . هذه ظاهرة يسر لها البعض ويتألم منها البعض ولكننا لا نملك ان كنا موضوعيين الا أن نعترف بوجودها . ولنا الى هذا الموضوع عودة بعد قليل .

ان المبالغة في الانقاص من دور الشعر والمبالغة في تضخيم هذا الدور تعكس في رأيي تناقض الأمة العربية في نظرتها الى الشعر والشعراء . وقفت الأمة العربية خلال تاريخها موقفا متأرجحا مضطربا من الشاعر : **تجله وتحقره في الوقت نفسه تعجب بموهبته وتستهين بها ، تمدحه وتذمه .** وانعكست هذه النظرة على الشعراء أنفسهم فاندفع بعضهم يقلل من قيمة الشعر أو يكتبه في السر وعلى استحياء ، أو يعتبره محنة ابتلى بها . واندفع بعضهم الآخر ، والمنتبي على رأسهم ، يسرفون في اعتزازهم بأنفسهم وفخرهم بموهبتهم .

أود قبل أن أسترسل في تفصيل مكان الشعر في القرن العشرين أن أحدد موقفي من قضيتين أساسيتين أولاها تتعلق **بالمضمون** والآخرى تتعلق **بالشكل** . القضية الأولى يلخصها هذا السؤال : هل يجوز أن نخرج من دائرة الشعر أشعارا معينة لأسباب تتعلق **بمضمون الشعر** ؟ والقضية الثانية يلخصها هذا السؤال : هل يجوز أن نخرج من دائرة الشعر أشعارا معينة لأسباب تتعلق **بشكل الشعر** ؟

ان القضية الأولى تثير موضوع **الالتزام** والبعد الاجتماعي للشعر . يذهب اغلب النقاد والشرح الى تصنيف الشعراء الى صنفين رئيسيين : أولئك الذين يقولون **الشعر للشعر** ، لا يطربون به سوى أنفسهم ، ولا يستهدفون سوى النشوة الفنية المحضة ، وهؤلاء حسب التعبير الأكثر شيوعا هم **الرومانسيون** . أما الفئة الثانية فتضم الشعراء الذين يقولون **الشعر للناس** ، يستهدفون به دفع مجتمعاتهم الى **الأفضل** ، ويستمدون روعة أشعارهم من عظمة مضامينها الاجتماعية ، وهؤلاء هم **الواقعيون** .

ومن نافلة القول ان نضيف أن أكثر النقاد اليوم يصبون جام غضبهم على الرومانسيين المتقوقعين في ذواتهم ، ويضفرون باقات المديح للواقعيين من الشعراء . هذا التقسيم ، ككل التقسيمات ، يريح الدارسين والطلاب والقراء . ولكنه كمعظم التقسيمات ، يفتقر الى الدقة والموضوعية . بل أن هذا التقسيم بالذات من أكثر التقسيمات بعدا عن الدقة العلمية .

انني أقول أنه لا يوجد شعر ذاتي بالمعنى الذي يذهب اليه هؤلاء النقاد : ذلك أن أي شعر حقيقي لا بد وأن ينبع من الذات ولكنه في الوقت نفسه لا بد أن يتجاوز حدود الذات . أما أن الشعر يجب أن ينبع من الذات فأمر لا اعتقد أن أحدا يجادل فيه . الذات هي المنزل الذي تسكنه عواطف الشاعر ، وهي المصفاة التي تمر من خلالها تجاربه . لا تصور شعرا بدون الذات الا اذا تصورت كلاها بشريا بدون حنجرة

ولسان . أما أن كل شعر حقيقي يجب أن يتجاوز حدود الذات فأمر أتصور أنه يحتاج الى مزيد من التفصيل .

فلنحاول أن نستعرض أكثر أنواع الشعر ذاتية وسنجد أن أيا منها لا ينتهي عند الذات . شعر **الغزل** مثلا ، وهو المثل التقليدي للشعر **الذاتي** ، يفترض وجود امرأة ، أي وجود انسان آخر بجانب الشاعر . وما دام الشاعر قد خرج عن حدود ذاته فلا أعتقد أن من العدل أن نتشبت بمعيار عددي فنعتبره ذاتيا ما دام اهتمامه ينصب على انسان واحد ونعده واقعا اذا تعددت محاور اهتمامه . شعر **الطبيعة** ، وهو بدوره مثل تقليدي للشعر **الذاتي** ، يقوم على أساس الفة قوية بين **الشاعر والطبيعة** تخرج بدورها عن حدود الذات الضيقة . أشعار القلق واليأس والضياع والوحدة بدورها ليست أشعارا ذاتية محض ، فهي جميعا تعبير عن علاقة بالآخرين فشلت لسبب من الأسباب فكان القلق وكان اليأس وكان الضياع . أما القول بأنها لا تعبر الا عن مشكلة فردية فرأي متسرع يغفل ان أي عاطفة انسانية لا تنمو الا في بيئة انسانية ، وأن **البيئة الانسانية لا توجد الا حيث يوجد أكثر من انسان واحد** .

ان محاولة الاصرار على أن كل شاعر أما أن يكون رومانسيا وأما أن يكون واقعا ، أما أن يكون ذاتيا وأما أن يكون اجتماعيا ، والاصرار على اخراج احدى هاتين الفئتين من دائرة الشعر الحقيقي ، بالاضافة الى عدم دقتها العلمية ، أساءت الى الشعر العربي بقدر ما أساءت الى العمل السياسي العربي محاولة تصنيف الناس الى ثوريين ورجعيين ومناضلين وعملاء . وجاءت هذه الاساءة من عدة وجوه : **أولا** . أقامت هوة بين شيوخ الشعراء ، ومعظمهم يصنف في العادة من الرومانسيين ، وبين شبابهم ، ومعظمهم يعتبرون أنفسهم من الواقعيين ، حرمت كل فريق من نعمة الاتصال بالفريق الآخر وتذوق ما لديه والاستفادة من تجربته . **ثانيا** ، دفعت ببعض الشعراء الشباب دفعا الى محاولة الكتابة في مواضيع بذاتها نجاءت تجاربهم فجأة ضعيفة وكادت قصائدهم أن تكون نسخا متكررة من بعضها البعض . ولعل أكبر كارثة جاء بها التصنيف هو أنه أقنع بعض الناشئة القراء بأن الشعر الحقيقي لا يوجد الا في فترة تاريخية دون غيرها أو لدى شعراء معينين دون غيرهم ، فكان هؤلاء الناشئة كمن يزور حديقة فلا يسمح له الا بشم بعض أزهارها دون البعض ، أو من يطالع السماء في ليلة صافية فلا يسمح له أن يرى الا بعض نجومها وكواكبها .

أما **القضية الثانية** فتثير مسألة الهجوم العنيف المتواصل بين الذين يكتبون الشعر بشكله التقليدي والذين يكتبونه بشكله الحديث . ولا شك عندي أن هذه **الهوة بين الفريقين جنت بدورها على الشعر جنابة لا تقل عن تلك التي شاهدها عند الحديث عن الذاتيين وغير الذاتيين** .

وحقيقة الأمر في ما أتصور ان كلا من الفريقين مصيب في بعض ما يذهب اليه

ومخطيء في بعض ما يدعيه . يصيب أنصار الشعر التقليدي عندما يقولون أن الأذن العربية تعودت عبر مئات من السنين على الأوزان التقليدية والقوافي . ويخطأون عندما يطلبون من الشعر العربي أن يبقى الى الأبد ضمن الأطر والنقواعد التي قننها الخليل بن أحمد لا يتجاوزها قيد شعره . ويصيبون عندما يقولون أن كثيرا من قصائد الشعر الحديث المنشورة تتميز بالركاكة والسطحية . غير أنهم يخطأون عندما يتجاهلون النماذج الرائعة التي أنتجها الشعر الحديث . ويصيبون عندما ينتقدون بعض الشعراء الشباب لجهلهم بتراث أمتهم الشعري الخصب . ولكنهم يخطأون عندما يذهبون الى تمجيد تراثنا الشعري بحذافيره وكثير منه لا يعدو أن يكون نظما سقيما رغم انتظام أوزانه وقوافيه .

حتى اذا ما انتقلنا الى أنصار الشعر الحديث وجدناهم يصيبون حين يقولون أن من حق شاعر هذا العصر أن يبحث عن أسلوب جديد للتعبير يختلف عن أساليب العصور الغابرة . غير أنهم يخطأون اذا ما كتبوا بأسلوب منبت الصلة كلية بالاساليب المألوفة لا يكاد يتذوقه الا قائلوه . ويصيبون حين يقولون أن التقيد بقافية واحدة وتفعيلة متكررة كثيرا ما يورط الشاعر في تعابير وكلمات لا تستهدف الا انتظام الوزن وتوفير القافية . غير أنهم يخطأون عندما يتصورون أن الخروج على وحدة القافية والتفعيلة المتكررة يحل مشاكلهم ذلك أنهم ينسون أن الإبداع الفني صعب في كل الظروف وينسون أن الشعر الحديث أصعب في كتابته من الشعر التقليدي . ويصيبون حين ينتقدون بعض السلبيات في شعرنا القديم كالاسراف في المديح أو الهجو البذيء أو التعلق الزائد بالصور اللفظية . غير أنهم يخطأون اذا نسوا في غمرة حماسهم أن اسلافهم ولدوا في زمان غير زمانهم وفي ظل ظروف غير ظروفهم وبأخلاقيات غير أخلاقياتهم .

ويبدو لي انه بعد أن ينجلي غبار المعركة وتهدأ أعصاب المتعارفين سيبقى الشعر العربي بشكله التقليدي سليما معافى ، ويبقى بجانبه شعر حديث يتحرر من وحدة القافية بعض الشيء ومن تكرار التفعيلة بعض الشيء ، ولكنه يبقى وثيق الصلة بالشعر التقليدي تربطهما روابط الاخوة ووشائج العائلة الواحدة .

اما وقد انتهيت الى أن الشعر شعر سواء كان مضمونه رومانسيا أو واقعيا ، وأن الشعر شعر سواء كتب بأسلوب تقليدي أو بأسلوب حديث ، بقي أن نتساءل : ماذا يستطيع الشعر أن يقدمه لانسان القرن العشرين ؟

لعل من المناسب أن أبدا بما يقدمه الشعر للشاعر نفسه . وهنا أقول أنني لا أعرف للشعر الا دورا واحدا بدا منذ قال أول شاعر الشعر في أول لغة ويظل اليوم عند كل شاعر في كل لغة : الا وهو التعبير عن انفعالات الشاعر وعواطفه ومشاعره ، أو كما نقول اليوم تجاربه النفسية . هذه هي مهمة الشعر الأساسية واي مهمة أخرى تضيفها ظروف الزمان والمكان لا تعدو أن تكون هامشا على الأصل .

الشاعر عندما يكتب الشعر يقوم بذلك بطريقة عفوية تلقائية . وإذا كان هناك خلاف على بعض المواهب وهل تولد مع الانسان أم تكتسب بالخبرة والمران فانه لا شك عندي أن **الشاعر يولد شاعرا** : قدره الذي لا اختيار له فيه . لم يطلب أحد من الشاعر أن يكون شاعرا ولم يطلب هو أن يكون شاعرا . ولعل الشاعر أجهل الناس بما يدور في أعماقه : لا يعرف لم كان شاعرا ، أو كيف كان شاعرا ، ولا يعرف لماذا يكتب الشعر في حالات دون غيرها ، ولا يعرف لماذا تتحول بعض تجاربه النفسية دون غيرها الى أعمال شعرية وتبقى تجارب أخرى أقوى وأعنف حبيسة في داخله . ولعل هذه المجهولات والالغاز التي تكتنف العملية الشعرية هي التي دفعت اليونان القدماء الى تصوير حورية توحى للشعراء ودفن العرب في أساطيرهم الى تخيل شيطان لكل شاعر يقذف الشعر في لسانه . وهذه الصورة البدائية الاسطورية تعبير جميل عن اللغز المحيط بالعملية الشعرية .

ان الشعر بأتاحته وسيلة التعبير الفني عن ما يعتلج في نفس الشاعر يحقق كل مهمته . قد يجلب الشعر للشاعر صيتا طائرا وقد يخمل ذكرا كان من الممكن أن يكون نابها . قد ينفعه وقد يضره ولكن هذا كله لا علاقة له بجوهر المسألة وهو أن الشعر حقق وظيفته بالنسبة للشاعر عندما أتاح له أن يخاطب الناس شعرا .

هذا عن الشاعر نفسه ، فماذا عن قارئ الشعر ؟ قبل أن أبدأ الحديث عن هذا الموضوع أود أن أقول أنني أعتقد أن الأسرار التي تحيط بكتابة الشعر تحيط بنذوق الشعر . نحن لا نستطيع أن نحلل بوضوح لماذا نحب شاعرا دون غيره أو قصيدة دون أخرى أو بيتا بعينه . أن عملية التجاوب مع الشعر عملية عاطفية عفوية لا تنصاع للتحليل العلمي ومن العبث أن نحاول قياسها بميزان أو نحللها في مختبر .

يستطيع الشعر أن يقدم لأنسان القرن العشرين ما يلي :

**أولا —** يعطي الشعر قارئه متعة جمالية خالصة يستحيل تعريفها ويصعب وصفها وهي أشبه ما تكون بالمتعة التي نحسها جميعا عندما نشم شذى وردة أو نستمع الى صوت جميل أو نرقب البدر في ليلة صافية .

**ثانيا —** يقيم الشعر ألفة انسانية بين الشاعر والقارئ فيحس القارئ أن الشاعر يتحدث بلسانه ويعبر عما في نفسه وفي هذا اغناء لأنسانية القارئ من جهة، وتمكين له من إعادة اكتشاف نفسه وفهم عواطفه من جهة أخرى .

**ثالثا —** يربط الشعر قارئه بالتجربة الانسانية للبشر اجمعين . ان الشاعر الحقيقي هو الذي يستطيع أن يحول تجربته الفردية الى موقف انساني : حبيبة الشاعر تصبح حبيبة كل انسان والم الشاعر يصبح الم كل انسان وهكذا يصبح القارئ جزءا من التجربة الانسانية التي تحدث عنها الشاعر . أن هذه الرابطة الانسانية الخالدة تثبت لنا سطحية القول المنسوب الى أحد الزعماء الشيوعيين

عندما بلغه أن شاعرا طبع عددا كبيرا من ديوان غزلي « ولماذا لم يكتب بنسختين : واحدة له ، والاخرى لحبيبه ؟ » .

**رابعا —** يستطيع الشعر في قصيدة قصيرة وحيانا في بيت واحد أن يلخص شريحة نابضة من الحياة تحتاج القصة الى رواية كاملة لأيضاحها ويحتاج علم النفس الى كتب عديدة لبيانها . انني أستطيع تشبيه الشعر « بكبسولة » موسيقية مضغوطة تستطيع رغم صغرها أن تنقل القارئ الى عالم كبير واسع حافل بالتجارب البشرية . ان نظرية هوبزغ الشهيرة في القوة يكاد يلخصها بأكملها بيت واحد للمتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا غفة فلعله لا يظلم

**خامسا —** يفتح الشعر للقارئ نافذة من خيال يهرب فيها من رتابة الواقع فيذوق روعة الحب مع شاعر الغزل ويحس بعنف المعركة مع شاعر الحماسة وهو لم يبرح مقعده . ولعلنا أحوج ما نكون الى نعمة الخيال في هذا العصر الذي كاد كل شيء فيه أن يخضع للرتابة الصارمة .

هذه هدايا الشعر لقارئه المتذوق لم تتغير عبر الأزمنة يعرفها كل من جربها ويستحيل أن تفنع بها من لم يجربها ، وكيف نشرح لمن حرم نعمة السمع روعة السيمفونية وصوت زخات المطر ؟

لقد أجلت الحديث عن دور الشعر السياسي والاجتماعي لا عن تجاهل لاهية هذا الدور ، ولكن لأن البحث فيه يتشعب ويطول ، ولأنني أرى فيه رأيا لا تقرني عليه غالبية الشعراء ولا غالبية النقاد .

بالامكان أن نطرح هذه المسألة على هيئة أسئلة ثلاث :

**السؤال الأول :** هل من صالح البشرية أن يكون للشعر دور سياسي واجتماعي ؟

**السؤال الثاني :** هل كان للشعر العربي دور سياسي واجتماعي في الماضي ؟

**السؤال الثالث :** هل للشعر العربي دور سياسي واجتماعي في هذه الفترة

المعاصرة ؟

لا شك أن الشعر في كل زمان ومكان تعرض على نحو أو آخر للقضايا الاجتماعية والسياسية التي شهدتها عصر الشاعر . غير أن تسليمنا بهذه البديهية لا يعني تسليمنا بأن هذه المعالجة كانت في جميع الأحوال في صالح تلك القضايا أو في صالح المجتمع التي ظهرت فيه . انني أستطيع العذر من الشعراء الموجودين في هذه القاعة ، ومن الشعراء خارجها ، اذا قلت انني أحتاج الى دليل يقنعني بأن تأثير الشعر السياسي والاجتماعي كان دائما وأبدا في جانب الخير والحق والعدالة . من الشعراء من تغنى بالحرية ، ومنهم من مجد أعداءها . من الشعراء من تحرق الى العدل ومنهم

من افتخر بالظلم . منهم من دعا الى الحب ومنهم من حث على الحقد . منهم من تاق الى غد افضل له ولمجتمعه وللانسانية ومنهم من هام بأسوأ ما في نفسه وما في مجتمعه انني شخصيا اعتذر عن الاقامة في المدينة الشاعرة ، ان وجدت مثل هذه المدينة ، لأنها لن تكون أحسن من أي مدينة أخرى . واعتذر عن السكن في أي مدينة يحكمها أمرؤ القيس وعنترة والحطيئة والفرزدق وجريز والبحري والمتنبى — أو لجنة من هؤلاء مع اعجابي الشديد بشاعريتهم .

انني استغرب عندما أسمع النقاد يدعون جميع الشعراء الى اصلاح مجتمعاتهم وتحرير أوطانهم ، استغرب لأن من الشعراء من لا يستطيع ان يصلح نفسه فكيف يصلح مجتمعه ، ومنهم من لا يستطيع أن يتحرر من أهوائه فكيف يحرر وطنه . وانني أستغرب أكثر عندما أجد من يتوقع من الشاعر أن يكون مفكرا حكيما يرسم لبنى قومه الطريق ويستجلي لهم دروب المستقبل . ان الشاعر ليس أفكى من غيره ، ولا أحكم من غيره ، ولا اشد وطنية من غيره : لا يميز الشاعر عن غيره الا أنه يقول الشعر .

على أنه سواء اقتنع المرء أن تأثير الشعر تأثير خير أو شك في ذلك ، فإنه سيسلم بأن الشعر العربي لعب خلال التاريخ العربي دورا يفوق دور الشعر في مجتمعات أخرى : ولعل مرجع هذا هو أن العربي يطرب للشعر أكثر من غيره ، وينفعل بالشعر أكثر من غيره ، ويتمثل بالشعر أكثر من غيره ، انني بعد أن أسلم بهذه الحقيقة أزعم أن التأثير السياسي والاجتماعي للشعر بلغ أوجه في عهد الجاهلية ثم أخذ في الانحسار شيئا فشيئا حتى بلغ مرحلة التلاشي في عصور الانحطاط . ثم بدأ شعراء القرن العشرين يحاولون أن يعيدوا الى الشعر شيئا من مجده الغابر .

كان العرب في الجاهلية يحتفلون اذا ظهر فيهم شاعر ويلقون القصائد التي تعجبهم في الكعبة ، ويقيمون للشعر اعيادا ومواسم ويحرصون على رضا الشعراء ويجزعون من غضبهم . غير أن فترات التاريخ التي تلت الجاهلية شهدت انحسارا تدريجيا في مجد الشعر وفي دوره السياسي والاجتماعي . وليس من العسير أن نتبين أسباب هذه الظاهرة التي أشرنا اليها في بداية الحديث ويكفي هنا أن نتحدث عن أربعة أسباب ساهمت في عملية الانحسار . أولا : كان الشعر في الجاهلية الفن الوحيد ثم ما لبث أن نافسته فنون أدبية أخرى كالخطابة والكتابة بأنواعها ثم ظهرت علوم جديدة لم تكن معروفة من قبل كالعلوم الشرعية وعلوم النحو ثم علوم الرياضيات والطب والفلك والاحياء . ثانيا : كان أهم سبب لانتشار الشعر هو سهولة حفظه في مجتمع لا يحسن القراءة والكتابة ولقد كان من الطبيعي أن يؤدي انتشار الكتابة الى امكان تداول النثر بسهولة مما أفقد الشعر ميزة كبرى على النثر . ثالثا : أدى تطور الحضارة وتعقد المجتمع الى أن يفقد الشعر تأثيره السحري على العقل العربي ولا اظن أن أحدا يشك في أن انسان العصر العباسي الذي عرف قدرا كبيرا من الثقافة وعاش في بيئة فكرية متطورة ما كان يمكن أن يستجيب للشعر بنفس الاندفاع

والحساس الذي عرفه انسان العصر الجاهلي الذي كان **ينام ويصحو ويسير على ايقاع الشعر** . **رابعا** : أدى انهماك معظم الشعراء في المديح وتحولهم الى اجراء يقولون ما لا يعنون الى فقدهم بعض احترام الناس وبالتالي بعض قدرتهم على التأثير في الناس .

وبقدوم عصور الانحطاط فقد الشعر محتواه الفني ومضمونه الاجتماعي وتحول الى نظم سقيم في الالغاز والأحاجي والتشطير والتأريخ لحوادث معينة . وقد شهدت بداية **القرن العشرين** محاولات الشعراء العرب للنهوض بالشعر وقد كانت جميع هذه المحاولات ، سواء المحاولات التقليدية التي بدأها **البارودي** و**سار** على منوالها **شوقي** و**حافظ** أو محاولات مدرسة الديوان التي قادها **العقاد** و**المازني** و**شكري** أو محاولات مدرسة **أبوللو** أو حركة **التمرد** على القافية الواحدة والتفعيلة المتكررة في الاربعينات ، كانت تلك المحاولات جميعها تستهدف التجديد لا في الشكل والاسلوب فحسب ، بل ترمي الى اعطاء الشعر بعدا اجتماعيا سياسيا يجعله وسيلة من وسائل تحريك الأمة وتطويرها .

لقد استطاع دعاة التجديد المتعاقبون أن يحققوا كثيرا من النجاح . انتشل **البارودي** الشعر من ركائكه وأعاد اليه **الجزالة** و**الفصاحة** وفتح **شوقي** ميدان **الرواية** أمام الشعر واستطاع شعراء مدرسة **الديوان** أن يدخلوا في الشعر العربي مفاهيم جديدة مثل **وحدة القصيدة** وأن يقللوا الاهتمام التقليدي بالبيت الفرد أما شعراء **أبوللو** ومدرسة **المهجر** فقد توسعوا في تنويع القافية وفي المزاوجة بين التفعيلات ، ثم جاءت حركة **الشعر الحديث** في منتصف الاربعينات فأدخلت أهم تجديد شكلي عرفه الشعر العربي في تاريخه حين **تمردت على وحدة التفعيلة وتحللت من وحدة القافية** .

ولقد استطاع الشعر العربي ، بالإضافة الى ما حققه من تجديد في الشكل ، أن يعالج كثيرا من القضايا الاجتماعية والسياسية التي شهدتها فترة السبعين سنة الماضية . تغنى الشعراء العرب **بالحرية** ونددوا **بالاستعمار** ودعوا الى **الاستقلال** و**تحرروا الى الوحدة** وكتبوا عن مأساة **فلسطين** وعبروا عن **تطلع الأمة العربية الى غد من الرفاهية والعدالة الاجتماعية** .

على أننا بعد أن قرأنا هذه الحقيقة ينبغي أن نبادر فنقرر **حقيقتين** ثانيتين مرتبطتين بها . **أولاهما** : أن الشعر العربي الذي تعرض للمواضيع السياسية والاجتماعية لم يرق في مستواه الفني بحيث يتناسب مع القضايا الخطيرة التي عالجها . لقد غلبت على معظم قصائد الشعر السياسي التقليدي صفات **التقريرية** و**الخطابة** و**التحويل** كما غلب على معظم قصائد الشعر السياسي الحديث طابع **الرمزية** المفرطة وطابع **الكليشيهات** المتكررة والمستمدة في معظمها من **الأساطير اليونانية** . ان الشعراء الذين استطاعوا أن يعبروا تعبيرا فنيا جميلا عن قضايا المجتمع السياسية **أقل من القلة** وأن القصائد الخالدة التي أنتجوها تكاد



تعد على أصابع اليدين . ولعل أكبر دليل على ما أقول هو أننا إذا تساءلنا عن الأعمال الشعرية الممتازة التي تحدثت عن ثورة الجزائر لم نجد ما يشفي الغليل . وإذا تساءلنا عن أثر مأساة فلسطين في الشعر لم نعثر الا على شعر متوسط لا يبلغ مستوى الروعة والخلود الا في قصائد معدودة . ان هذه ظاهرة مؤلمة وهي ظاهرة محيرة ، اترك لغيري ، ممن هو أقدر مني على التحليل ، أن يفسرها .

**والحقيقة الثانية :** هي أن الشعر العربي ، رغم معالجته المتكررة لقضايا السياسة والاجتماع لم يستطع أن يكون **عاملا مؤثرا** في مسار المجتمع العربي المعاصر . صحيح أن بعض الأشعار الوطنية تقرا فتثير الحماس الوجداني وتبقى على الشفاة فترة من الزمن ، ولكن لا أجد أي دليل يقنعني بأن هذه القصائد كانت رافدا أساسيا من روافد العمل السياسي العربي . وأستطيع القول أننا اذا استعرضنا المؤثرات الفعالة في حياة المجتمع العربي خلال السبعين سنة الماضية لم نستطع رغم ما نكنه للشعر من محبة ، أن نعتبره احد هذه المؤثرات . ولعل أحدا لا يجادل ان كتاب المقالة السياسية والصحفيين والعاملين في أجهزة الاعلام الأخرى لعبوا دورا يفوق بكثير **دور الشعراء في رسم خارطة العقل العربي** .

وقبل أن يتبادر الى ذهن أحد أنني بمواجهة هذه الحقيقة المؤلمة أوجه نقدا من أي نوع ، للشعراء أسارع الى القول بأن اللوم لا يقع على الشعراء بقدر ما يقع على عدد كبير من **الظروف** التي تضافرت لتحصر الشعر في دائرة ضيقة يصعب عليه وهو سجينها أن يمارس دورا يذكر في التأثير في المجتمع .

ان مجتمعنا العربي المعاصر لا يكاد يقرأ الشعر ينذر أن نرى الشاعر السذي يعيد طبع ديوانه أو يطبع منه أكثر من بضعة آلاف نسخة بل أننا نستطيع القول أن الشاعر الذي يستطيع استرداد نفقات الطبع يعتبر محظوظا . لو سرت في أي بلد عربي وسألت رجل الشارع عن اسم أشهر الساسة أو نجوم السينما أو المطربين أو لاعبي كرة القدم في بلده أو في بلد عربي آخر لما تردد في الإجابة ولو سألته عن **أشهر الشعراء** لما لقيت منه سوى الوجوم المشوب بالاستغراب . ان الشاعر العربي الوحيد الذي استطاع أن يخرج الى دائرة الضوء فينافس لاعبي الكرة ونجوم الشاشة في الشهرة هو **نزار قباني** وهو في الواقع ظاهرة **فردية** واستثناء يؤكد القاعدة . انني أزعم أن نزار قباني رغم هذه الشهرة الواسعة لا يستطيع أن يحقق ما حققه سلف له حين كتب عن المليحة في الخمار الأسود فتخاطفت النساء الخمر السوداء وبيعت الآلاف منها وائتذ صديق الشاعر من افلاس مؤكدا .

والموضوعية تقتضينا هنا أن نشير الى أن الشعر العالمي ليس أسعد حظا من الشعر العربي . في المجتمعات الغربية مثلا يعرض **فيلم** فيراه مئات الملايين ، وتنشر **قصة** فيقرأها عشرات الملايين ، وترسم **لوحة** فتطبع منها مئات الآلاف من النسخ ، ويطبع **ديوان** لشاعر شهير فلا يكون حظه أسعد بكثير من حظ ديوان عربي .

لعلنا بعد هذه الجولة نستطيع أن نواجه السؤال الذي يمثل عنوان المحاضرة  
فنقول نعم أن للشعر مكانا في القرن العشرين : يتيح للشاعر التعبير عن تجاربه  
ويتيح للقارئ أن يفعل ويتجاوب مع الشاعر غير أن الشعر لا يستطيع أن يقوم  
بدور سياسي اجتماعي يذكر . ومع ذلك فان أحدا لا يجادل في أن من حق الشعر  
أن يحاول ويكرر المحاولة ليفرض نفسه على المجتمع وأن من حقه أن يحلم دائماً  
بفد يصل فيه الى ملايين البشر فيؤثر في حياة ملايين البشر .

حتى نصل الى ذلك اليوم أقول للشاعر العربي : أن كتابتك للشعر في حد ذاتها  
لا تعفيك من واجبك الأساسي كمواطن عربي في أن تحاول تطوير مجتمعك ، من  
موقعك أيا كان موقعك . وأقول للقارئ الشعر العربي : : ان اعجابك بالشعر  
الحماسي الوطني لا يعفيك من التزامك بأن تقدم لوطنك التضحية التي تتجاوز بكثير  
لحظة عابرة من الحماس المؤقت .



## خولة بنت الأزور

أهـى حقيـقة ؟ !

أم أسطورة من نسج الخيال

بقلم الاستاذ : عبد العزيز الرفاعي

تمهيد :

لو تابعت عاطفتي لما كتبت هذا المقال .. فأنى فى اعماقى ، أحب أن أحتفظ ببطولة خولة بنت الأزور ، وأن يظل تاريخنا العربى الاسلامى ، عامرا بهذا الاسم البراق .. وأن تظل خولة من مفاخرنا العامة ، ومن مفاخر بنى جنسها خاصة ...

ولكن تجاه هذه المشاعر التى تحرضنى على الاحتفاظ ببطولة هذه البطلة مشاعر أخرى ، تنبع من واجبى الأدبى .. واحساسى بأنه يجب أن يكون مفاخرنا ثابتة واضحة كالشمس .. لا يحيط بها غموض .. ولا يرقى اليها شك .

على أن تاريخنا ملئ بالبطولات .. كما هو ملئ بأسماء البطلات .. وقد عنيت من قبل بأبراز بطولة « أم عمار » ووضعت عنها كتيباً ، استقصيت فيه تاريخها ما وسعنى الى ذلك سبيل ..

ولا أنكر لبطولة خولة بنت الأزور .. بريقا خاصا .. فهى بطلة شاعرة .. أو هكذا استفاضت شهرتها .. قاتلت الروم فى صفوف المسلمين وأنشدت من الشعر قصائد عليها طابع الحنو .. هذا صحيح .. ولكن مهما يكن الأمر فأن مفاخرنا كما قلت — يجب أن تستند على الحقائق وحدها ..

وهذا المقال ، مجرد محاولة لفهم الموقف التاريخى السليم تجاه « خولة بنت الأزور » ، يضع شخصيتها الى جانب القصة الأسطورية ، أكثر مما يضعها الى جانب القصة الواقعية .. ثم لا يحول بعد ذلك دون أن .. يفوص أى باحث فى أعماق التاريخ ليثبت العكس ...

ولا أزعم أننى أول من تنبه الى حقيقة الشك فى شخصية خولة .. فأن هناك من كان مثلى على شك كبير من أمرها .. وأن لم يعلن ذلك الى الناس .. وسيأتى الحديث عن ذلك فى موضعه ..

## مكانتها :

ولخولة بنت الأزور ، مكانة خاصة رفيعة في التاريخ الحديث ، قد احتفى بها الحفاوة كلها ، وأشاد ببطولتها .. ومجدها كل التمجيد .. نجد ذلك فى الصحف والكتب .. والمقررات المدرسية .. وخاصة فى الكتب التى تتحدث عن بطولسة المرأة .. ونجد كبار المؤرخين والكتاب قد اتخذوا من شخصيتها العجيبة نموذجا رائعا يضربونه مثلا رفيعا للبطولة ، والخلق السامى .. يفعلون ذلك دونما تحييص لأصل القصة .. يأخذ بعضهم من بعض .. مأخوذين ببريق هذه الشخصية اللامعة ..

على أثنى التمس العذر للمتأخرين منهم ، فانما هم يتابعون فى ذلك أما كتاب القصص والملاحم فلا تثريب عليهم .. فهم ينسجون قصصهم وملاحمهم من الواقع ومن الاسطورة على سواء .. بل ربما كانوا بالاسطورة أشد تعلقا وأكثر حفاوة .

ولكن الموقف يختلف تجاه الباحثين والمحققين .. وواضعى المعاجم ودوائر المعارف .. ذلك لأننا نطمح أن تكون مثل هذه المراجع ، أكثر دقة وتحصيما .. وتحقيقا ..

ولست بسبيل أن أعدد الكتب والمجلات والصحف التى أشادت بذكر خولة بنت الأزور ، ولهجت بطلتها .. فذلك أكثر من أن يتسع له مجال محدود ، أو ينفصح له جهد ضئيل كجهدى .. ولكن الأمر مستفيض ... جدا فقد قرأت ذلك فى الكتب المدرسية ، وأنا طالب .. وظللت أقرا عن هذه البطلة الكثير .. وكان من أجود ما قرأت عنها ، ما كتبه محمد على باكتير رحمه الله فى « ملحمة عمر » .

وقد اجتذبنى هذا البريق الشديد .. حينما عنيت بشخصية ضرار بن الأزور ، الصحابى الشاعر الفارسى .. وقدمت عنه محاضرة فى « عنيزة » بالتصميم . . . فقد كتبت عنها بحثا لم ألقه ولم أنشره .. اذا داخلنى من أمرها شك كبير ضمنته بحثى ذلك .. ثم طفقت أبحث الأمر حتى ازداد نفسى واتسع نطاقه .. وكان من نتاج ذلك هذا المقال . .

## فى المراجع الحديثة :

ومما يتصل بذكر خولة بنت الأزور .. ما ذكرته المراجع الحديثة عنها . وأمثل تلك المراجع عندى ، كتاب « الاعلام » للاستاذ الجليل « خير الدين الزركلى » أمد الله فى حياته النافعة .. فقد ترجم لها ، وذكر أنها ( خولة بنت الأزور الأسدى ) ، وأنها شاعرة كانت من أشجع النساء فى عصرها .. وتشبهه بخالد ابن الوليد فى حملاتها ، وهى أخت ضرار بن الأزور .. لها أخبار كثيرة فى فتوح الشام ، وقال أن فى شعرها جزمة وفخرا .. وأنها توفيت فى أواخر عهد عثمان

( ٣٥٥ / ٦٥٥ م ) وذكر مصدره الوحيد وهو كتاب « الدر المنثور » . للسيدة زينب ابنة فواز العاملية .

هذا ما جاء عنها فى الطبعة الثالثة من الكتاب ، وهى الأخيرة .. وفى هذه الطبعة أشار الاستاذ الجليل فى المستدرك الثانى أن نسبة الأزور الكندى أصلحت فجعلت الأسدى .. أى أنه كان فى الطبعة السابقة قد نسبها الى كنده ..

وفى هذه النسبة سياق فى البحث سيرد الكلام عنه أن شاء الله ..  
وجاء عنها نبذة فى « الموسوعة الميسرة » هذا نصها :

( خولة بنت الأزور ) ( ت ٦٥٥ ) شاعرة كندية من أشجع نساء عصرها تشبهت بخالد بن الوليد ، أخت ضرار بن الأزور ، لها أخبار كثيرة فى فتوح الشام ، توفيت فى آخر عهد عثمان وفى شعرها جزلة وفخامة ، وأكثره فى الفخر صورة من المرأة ( الفارسة ) ، تحيط بها أساطير كأساطير « الامازون » .. النساء المقاتلات ) .

ومن هذا النص يتبين أن كاتبه اعتمد كلياً على الاستاذ الزركلى ... ونقل من الطبعة الثانية من كتابه ، فجعل خولة من كنده وليست اسدية من اسد . . ولم ينتبه الى الحقيقة التى عاد الاستاذ الزركلى فتنبه لها وهى أن ضرار بن الأزور كان من أسد وليس من كنده .. ونجد أن كاتب المادة ، لم يتصرف فى عبارات الاستاذ الزركلى الا تصرفاً لا يكاد يذكر .. ولكنه أضاف أنه تحيط بها أساطير كأساطير الامازون .

ولو أنه عنى بتتبع هذه الأساطير التى ألح اليها لفتح طريقاً لا حبال للباحثين .. ولعاد النظر فيها نقله من كتاب « الاعلام » .

أما صاحب دائرة معارف القرن العشرين ، « فريد وجدى » فلم يذكر من الخولات على كثرتهم وشهرتهم الا خولة واحدة .. وهى خولة بنت حكيم السلمية صحابية مشهورة روت عن النبى صلى الله عليه وسلم .. مع أن صاحب « القاموس المحيط » أورد ذكر عشر خولات ، واستدرك عليه الزبيدى صاحب « تاج العروس » عدداً آخر منهم . .

ومن المراجع الحديثة كتاب « اعلام النساء » للاستاذ « عمر كحالة » . . وقد وقتت منه على الطبعة الثانية .. وقد ذكر « خولة بنت الأزور » وجعل الأزور كندياً ، وأنها خرجت مع أخيها ضرار .. ثم ذكر بعض وقائعها ، وبعض أشعارها ، على النحو الذى فعلته السيدة « زينب العاملية » مع تقديم وتأخير وتنويع بعض العبارات ، وأكفى بإيراد نصين شعريين لها ، الأبيات النونية التى مطلعها :

الا مخبر بعد الفراق يخبرنا فمن ذا الذى يا قوم أشغلكم عنا

والنونية الثانية التى مطلعها :

أبعد أخى تلذ الغمض عينى فكيف ينام مقروح الجفون

واختتم تقوله بقوله وتوفيت في اواخر خلافة عثمان . .

أما مراجعه فكانت على التوالى : فتوح الشام للواقدي ، الدر المنثور ، ديوان الخنساء . .

أى أننا نجد ، عدا الدر المنثور ، مرجعين مضافين هما فتوح الشام للواقدي وديوان الخنساء . .

ولا أحب أن أذهب الى أكثر من هذا في استقصاء المراجع الهامة فاستقصاؤها يستدعى اطالة ، قد تخرج المقال عن نطاقه . . وأن كانت مراجعنا الحديثة الهامة من القلة بمكان . .

والمراجع القديمة :

إذا كان التاريخ الحديث قد احتفى بخولة بنت الأزور . . وثبتها فى أهم مراجعه ؟ فما هو موقف التاريخ القديم والمراجع القديمة ؟  
لنحدد عصرها أولا لنبحث فيه :

ان الاستاذ الجليل « خير الدين الزركلى » ذهب الى أن وفاتها كانت سنة ٥٣٥هـ ، وتجلت بطولتها فى حروب حرب فتح الشام . . وأنها كانت تشبه بخالد بن الوليد . . وأنها أخت ضرار بن الأزور .

وضرار بن الأزور صحابى ، من بنى أسد ، وفد ضمن وفدهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، واشترك فى حروب الردة . . الى جوار خالد بن الوليد . . وانتقل الى العراق معه ، ثم الى الشام . . واشترك فى واقعة اليرموك وكان له فيها موقف بطولى . . والشعر الذى قالته خولة . . وهو الذى يشير اليه الاستاذ الزركلى . . ومن بعده « الموسوعة الميسرة » انها قالت فى أخيها ضرار . . فى الشوق اليه بعد أن أسر فى أيدي الروم . . وفى الحزن لأسره . .

ومعنى هذا أن خولة كانت مع أخيها فى جهاده فى أرض الشام ، فهل كانت هى الأخرى صحابية ؟

ان خولة بنت الأزور ، لم تكن ضمن من أحصى صاحب القاموس من الصحابييات . . ولا ضمن من استدرج صاحب ( تاج العروس ) . . عليه . .

وقد لا تكون خولة صحابية . . فلعلها ولدت فى زمن متأخر عن عصر الصحبة . . ولكن صاحب « الإصابة » لم يعتبرها اطلاقا ضمن من أحصى من النسوة . . حتى أولئك الذين لم ينل شرف لقب صحابية . .

وكذلك طبقات « بن سعد » ، فقد ذكر خمس عشرة خولة ، ليس من بينهن خولة بنت الأزور . .

ولندع كتب الطبقات جانبا . . ولنبحث فى كتب التاريخ والسير . . هذه سيرة « بن هشام » ليس فيها ذكر لخولة بنت الأزور . . وهذا « تاريخ الطبرى » . . عمدة التواريخ ، لقد ذكر من الخولات خمسا ، وليس بينهن خولة بنت الأزور . . بالرغم من كل ما ذكر عن فتوح الشام . .

والسؤال الضخم . . هو كيف تهملها هذه المصادر الأمهات . . على ما استفاض من شهرتها . . ومن شعرها . . ومن بطولتها . . ومن صلتها بصحابى بطل هو ضرار بن الأزور . . ؟

ليس من المعقول أن تهملها كل هذه المصادر ، لو كان لها وجود حقيقى . . أو على الأقل لو كان لها أى دور تاريخى ملحوظ . . !

وإذا افترضنا أن كتب التاريخ . . قد أهملت الأشادة ببطولتها ومكانتها . . فان كتب الأدب والشعر ، لا تهملها اليست شاعرة . . ؟ وفى شعرها جزلة وفخر ، كما قال الاستاذ الزركلى . . أو كما بالغ كاتب مادتها فى الموسوعة الميسرة حينما قال : « فى شعرها جزلة وفخامة » . . . ؟

لا يوجد كتاب واحد من كتب الأدب القديمة المعتبرة ذكر اسم خولة بنت الأزور . . وهذا كتاب الاغانى أوسعها ، ذكر ست خولات ، ليس من بينهن خولة بنت الأزور . . والكتب التى اهتمت قديما بأخبار النساء بصفة خاصة مثل كتاب « بلاغات النساء » لابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ . لم يرد به ذكر خولة بنت الأزور . . ويلاحظ أننى أحصر الكلام عن المراجع هنا على المراجع القديمة فحسب . . أما الجديدة ، فالكلام فيها عن خولة بنت الأزور مستفيض جدا ، كما أوضحت من قبل . . وفى الكتب المخصصة بأدب النساء ذكرها « بشير يموت » فى « شاعرات العرب » أيضا . . والكتابان متشابهان . .

### الرجع الوحيد :

اذن فمن أين أتى الاستاذ خير الدين بهذه البطلة الشاعرة . . ؟

ان الاستاذ الزركلى دقيق فى ذكر مصادره ، وهذه السيرة من اكبر ميزات كتابه العظيم « الأعلام » . .

لقد صرح بذكر مصدره وهو كتاب « اندر المنثور فى ذكر طبقات ربات الخدور » ومؤلفة هذا الكتاب هى السيدة « زينب فواز يوسف العالمى » . .

فلننظر من هي هذه المؤلفة . . ؟ وماذا في كتابها ؟ . .

يقول صاحب الاعلام في ترجمتها انها ولدت سنة ١٢٧٦ هـ / ١٨٦٠ م. وتوفيت سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م . وأنها اديبة ، مؤرخة من شهيرات الكاتبات ، ويقول عن كتابها « الدر المنثور » ، « أنه من أفضل ما ألف في بابيه » . .

ونعرف من هذا انها متأخرة جدا . . وأنها اديبة معاصرة .

أما كتابها فقد طبع لأول مرة في مطبعة بولاق سنة ١٣١٢ هـ . ثم جرى تصويره حديثا من قبل دار المعرفة في لبنان — . .

واكاد أجزم أن كل ما جاء في كتابات المعاصرين عن خولة بنت الأزور ، استند على هذا الكتاب ، أما نقلًا مباشرًا منه . . وأما أخذًا عن المصدر الذي نقلت عنه . .

وبعد . . فماذا قالت زينب العاملية عن خولة ؟

بدأت حديثها عنها بما نصه :

( خولة بنت الأزور الكندية )

وهي أخت ضرار بن الأزور ، وكانت مشهورة بالشجاعة والجمال ، خرجت مع أخيها إلى الشام حين فتحها ، في خلافة أبي بكر الصديق ، وكانت تفوق . . الرجال بالفروسية والبسالة ، ولها وقائع مشهورة لا يسعها المقام ، إذا أحببنا إيرادها ، ولكننا على البعض منها . .

قال الواقدي في « فتوح الشام » . .

ثم أوردت وقائع بعينها ، وأربع قطع شعرية لخولة . . » . .

وقبل أن أناقش الوقائع والأشعار . . أحب أن أتريث قليلا عند هذه الفذلة الصغيرة التي قدمتها السيدة زينب فواز رحمها الله ، بين يدي نقولها عن الواقدي ، وكتاب فتوح الشام . .

١ — قالت السيدة في العنوان ، أن خولة بنت الأزور كندية ، ثم قالت تحته مباشرة ، وبلافاصل ، أنها أخت ضرار بن الأزور ولو أنها رجعت إلى ترجمة ضرار ، وهي ميسورة لعرفت أن ضرار بن الأزور ، الصحابي الذي لازم خالد بن الوليد في حروبه إنما هو أسدي من بني أسد . . وبني أسد من مضر أي أنهم عدنانية . . أما كندة فهم من قحطان . . وشتان ! وهما أحب أن أذكر القارئ بما قاله الزركلي عن كنديتها ثم أسديتها . .

٢ — ثم قالت أنها خرجت مع أخيها إلى الشام . . فإذا صح هذا فأنها مولودة قبل الهجرة . . ولو بقليل ، ومعناه ، أن كتب السيرة والطبقات لن تهمل ذكر مثلها . .

٣ — أن كل ما أضافته السيدة المؤلفة عن خولة ، إنما هو مستمد من كتاب



« فتوح الشام » فهو الذى ذكر شجاعته وجمالها ، وهو الذى جعلها اختا لضرار ، وجعلها شاعرة ، وأورد عنها قصص البطولة .. وهذا يدل على أن .. السيدة زينب اعتمدت كليا على هذا الكتاب ، ولم ترجع الى غيره مطلقا .. فهو مرجعا الوحيد .. كما كادت أن تكون هى المرجع الوحيد لمن كتب عن خولة من المعاصرين .. أو هى من أضعف الاحتمالات ، من دلت على كتاب « فتوح الشام » .

### المرجع القديم :

وكتاب « فتوح الشام » يعزى ، كما رأينا ، الى الواقدى والواقدى مؤرخ قديم .. ولسائل أن يسأل .. كيف تقول قبل قليل .. أنه لا يوجد مرجع قديم تحدث عن خولة بنت الأزور ؟

واقول : اننى لا زلت عند رأى .. وأن كتاب فتوح الشام الذى بين أيدي الناس ، ليس قديما .. وليس مرجعا ، ولم يؤلفه الواقدى ! .

وقبل أن استطرد طويلا عن كتاب « فتوح الشام » فلنلق نظرة على ما نقلته منه « زينب فواز » . .

ماذا فى الدر المنثور ؟

بعد الفذلكة القصيرة التى أوردتها من قبل من كلام السيدة « زينب العاملية » نقلت عن كتاب « فتوح الشام » ما يلى :

« قال الواقدى فى فتوح الشام .. أنه لما أسر ضرار بن الأزور فى وقعة « أجنادين » توجه خالد بن الوليد بطلبه من الجيش لخلاصه فبينما هو فى الطريق ، اذ مر به فارس ، على فرس ، طويل وببده رمح ، وهو لا يبين منه الا الحدق ، وقد سبق أمامه الناس ، كأنه نار ، فلما نظره خالد قال : ليت شعرى من هذا الفارس ؟ وأيم الله أنه لفارس ! ثم اتبعه خالد والناس ، وسار الى أن أدرك المشركين ، وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتابهم ، وحطم مواكبهم ، فما كانت الا جولة جائل ، حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء ، وقد قتل رجالا ، وجندل أبطالا ، وقد عرض نفسه للهلاك ثانية ، واخترق القوم غير مكرث ، وكثر قلق الناس عليه ، لا يعلمون من هو ؟ ومنهم رافع بن عميرة ، ومن معه ، ظنوا أنه خالد بن الوليد : ما هذه الحملات الا لخالد ، وبينما هم على ذلك ، اذ أشرف خالد بمن معه ، فقال له رافع : من الفارس الذى تقدم أمامك ؟ فلقد بذل نفسه ومهجته .

فقال خالد : والله أنى أشد أفكارا منك ، أعجبنى ما ظهر منه ، ومن شمائله ، فقال رافع : أيها الأمير أنه منغمس فى عسكر الروم يطعن يميننا وشمالا فقال خالد : معاشر المسلمين أحملوا بأجمعكم ، وساعدوا المحامى عن دين الله ، فأطلقوا الأعنة

وقوموا الأسنة ، وخالد أمامهم ، اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار ، والخيول فى أثره ، وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل ، فعند ذلك حمل خالد ومن معه ، ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين فتأملوه ورأوه تخضب بالدماء ، فصاح خالد والمسلمون : لله درك فارس بذل مهجته فى سبيل الله وأظهر شجاعته على الأعداء .. اكتشف لنا عن اسمك وأرفع لثامك ، ولم يخاطبهم ، وانغمس فى الروم ، فتصايحت الروم من كل جانب ، وكذلك المسلمون ، وقالوا أيها الرجل الكريم أميرنا يخاطبك وأنت تعرض عنه ! أظهر لنا اسمك لنزداد تعظيما ، فلم يرد عليهم جوابا .. فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه .. وقال : ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلوبى .. بفعلك من أنت ؟ فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس وتحت لثامه قال : اننى أيها الأمير لم أعرض عنك الا حياء منك لأنك أمير جليل ، وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور ، وأنا حملنى على ذلك انى محرقة الكبد زائدة الكمد .

فقال لها : من أنت ؟ قالت : خولة بنت الأزور ، أخت ضرار المأسور بيد المشركين وأنى كنت مع بنات العرب ، وقد أتانى الساعى بأن أسير فركبت ، وفعلت ما رأيت ، وعند ذلك حمل المسلمون وحملت خولة .. وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور ، وقالوا : ان كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة ، أما خولة فجعلت تجول يمينا وشمالا وهى لا تطلب الا أخاها ، وهى لا ترى له أثرا ، ولا وقفت له على خبر .. وجعلت تسأل عنه فلم يجبها أحد ، ولم تر من المسلمين من يخبرها انه نظره أو رآه أسيرا أو قتيلا ، فلما أيست منه ، بكت بكاء شديدا وجعلت تقول : يا ابن أمى .. ليت شعرى فى أى البيداء طرحوك وبأى سنان طعنوك ، أو بأى حسام قتلوك .. يا أخى أختك لك فداء ، لو أنى أراك انقذتك من أيدى الأعداء .. ليت شعرى أترى أنى أراك بعدها أبدا ، فقد تركت يا ابن أمى فى قلب أختك جمره ، لا يخمده لهيبها ، ولا يطفأ سعيها .. ليت شعرى الحقت بأبيك المقتول بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم .. فعليك منى السلام الى يوم اللقاء .. فبكى الناس من قولها .. عند سماعها ونباحها .. » ..

ثم أخذت السيدة زينب العملية ، تنقل قصة أخرى فقالت :

ومن وقائعها أيضا ما ظهر من بسالتها يوم أسر النسوة فى واقعة صحورا من أعمال الشام ، وقد جمعت النسوة وقامت فيهن خطيبة ، وكانت هى من ضمن المأسورات فقالت : يا بنات حمير ، وبقية تبع ، اترضين لأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لأهل الشرك ، أين شجاعتهن ؟

الى آخر الخطبة التى سردتها ، ثم حمل النساء أعمدة الخيام وضربن بها الروم ..

وهجمت خولة وهجم النساء وراءها ، وقاتلن قتالا شديدا حتى استخلصت النسوة من أيدى الروم وخرجت وهى تقول :

نحن بنات تباع وحمير  
لأننا فى الحرب نار تسعر  
وضربنا فى القوم ليس ينكر  
اليوم تسقون العذاب الأكبر

ثم تنقل أيضا قولها حين أسر ضرار فى المرة الثانية فى مرج دابق :

الا مخبر بعد الفراق يخبرنا  
فلو كنت أدري أنه آخر اللقاء  
الاي غراب البين هل أنت مخبرى  
لقد كانت الأيام تزهو لقربهم  
الا قاتل الله النوى ما أمره  
ذكرت ليال الجمع كنا سوية  
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم  
ولم انس اذ قالوا : ضرار مقيّد  
فما هذه الأيام الا معارة  
أرى القلب لا يختار من الناس غيرهم  
سلام على الأحباب في كل ساعة  
فمن ذا الذى يا قوم أشفلكم عنا  
لكننا وقفنا للوداع وودعنا  
فهل بقدم الغابين تبشرنا  
وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا  
وأقبحه ماذا يريد النوى منا ؟  
ففرقنا ريب الزمان وشتتنا  
لقمنا خففا للمطايا وقيلنا  
تركناه فى دار العدو ويمنا  
وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى  
اذا ما ذكرهم ذاكر قلبى المضنى  
وان بعدوا عنا ، وان قربوا منا ..

« ثم بكت وقالت : انا لله وانا اليه راجعون ، فو الله لأخذنا بثأره ان شاء الله تعالى .. ولما زحفت عساكر الاسلام الى انطاكية لأجل خلاص ضرار ، سار معهم النساء اللاتي — لهن أسرى ، وفى مقدمتهن خولة بنت الأزور ، وهى تنشد قولها فى المرائى البكيات :

أبعد أخى تلذ الغمض عيني  
سأبكى ما حييت على شقيق  
فلو أنى لحقت به قتيلا  
وكنيت الى السلو أرى طريقا  
وأنا معشر من مات منا  
وأنى .. أن يقال مضى ضرار  
وقالوا : لم بكائك فقلت مهلا  
فكيف بنام مقروح الجفون  
أعز على من عيني اليمين  
لهان على اذ هو غير هون  
وأعلق منه بالحبل المتين  
فليس يموت موت المستكين  
لباكية بمنسجم هتون ..  
أما أبكى وقد قطعوا وتينى ..

ثم تنقل صاحبة الدر المنثور قصتها أو أسر ضرار فى المرة الثالثة فى وقعة دير المسيح من أرض البهنسا .. فقد جاءت أيضا لتخلصه ، وكنيت مع مقاتلى المسلمين ، فمر القوم ومعهم ضرار مكفوبا ، وهو ينشد شعر ، أورده المؤلفات تضمن الاشادة بخولة « فما كان منها الا كبرت وحملت ، وحمل معها الرجال حتى خلصوا ضرار من الأسر . .

تقول المؤلفة فى ختام ما نقلته :

« وقائعها كثيرة ، وقد أبلت بلاء حسنا فى فتوح الشام ومصر ، وعمرت طويلا ، وكانت وفاتها فى أواخر خلافة عثمان بن عفان ، فعلى مثل هذه يأسف الدهر رحمها الله رحمة واسعة » .

ان كل ما أورده السيدة « زينب العاملية » ، ما عدا الفذلقة والكلمة الختامية ، منقول بالنص من كتاب « فتوح الشام » . . وان كانت تختصر كلمة من هنا أو هناك . . ولكنها تحرص غالبا على النص ، ولمن شاء الرجوع الى الكتاب المذكور ، وائى أدله على الصفحات بحسب النسخة التى بين يدي ، وأنا أكتب هذه السطور ، وهى نسخة ( دار الجيل ) . . وليس بها تاريخ طبعا :

- |                                     |                     |
|-------------------------------------|---------------------|
| ١ ( خولة الفارسة التى تشبه خالدًا ) | ص ٤٥ و ٤٦/ ج ١      |
| ٢ ( فى وقعة صحورا )                 | ص ٤٢ وما بعدها ج ١  |
| ٣ ( قصتها فى مرج دابق وشعرها )      | ص ٢٨٥ ج ١           |
| ٤ ( شعرها فى انطاكية )              | ص ٢٩٧ ج ١           |
| ٥ ( قصتها وأخوها فى دير المسيح )    | ص ٢٣١ وما بعدها ج ٢ |

على أن كتاب « الدر المنثور » لم يستقص جميع أخبار خولة بنت الأزور التى وردت فى كتاب « فتوح الشام » بل اقتصر على بعض قصصها وأشعارها . .

واذا تأملنا هذه النصوص التى وردت فى كتاب « الدر المنثور » وما جاء فيه من فذلقة وختام . . نلاحظ ما يلى :

١ — نلاحظ فى أسلوب النصوص . . أعنى كتب القصص والحكايات التى وضعت للشعب لأغراض شتى . . وشاعت لدى الجماهير العربية منذ بدء القرن الهجرى الأول ، حيث كانت تروى هذه القصص أو تحكى فى المساجد ، ثم جرى تدوينها فيما بعد ، وشاع تداولها . . وحصل التزيد فيها ، وتطور أسلوبها . .

وفى أسلوب فتوح الشام نلاحظ تكرارا لبعض التشابيه مثل قوله « كانت شعلة نار . . كالنار . . » . . أو استعمال السجع كقوله : فزعزع كتابهم وحطم مواكبهم . . وقتل رجالا وجندلا أبطالا . . فأطلقوا الأعنة . . وقوموا الأسنة . . وأنا من ذوات الخدور ، وبنات الستور . . أنى محرقة الكبد زائدة الكبد . . الخ . .

٢ — أن خولة بنت الأزور ، شبهت فى حملاتها بخالد بن الوليد : « ما هذه الحملات إلا لخالد » . .

٣ — أن خولة بنت الأزور ، تقول فى التحسر على أخيها ضرار : « ليت شعرى الحقت بأبيك المقتول بين يدي الرسول . . » وليس لهذا الخبر أصل تاريخي . .

٤ — نرى أنها حينما كانت ضمن الأسورات فى وقعة « صحورا » وخطبت فى النسوة ، واردة أن تستثير حماستهن .. خاطبتهن على اعتبارهن « بنات حمير وبقية تبع .. » ولا غرو فهى فى كتاب فتوح الشام كندية وكنده قبيلة يمنية يصح أن يقال فى بناتها أنهن بنات حمير ، وبقية تبع .. وهنا يأتى الوهم الأكبر .. فأن ضرار بن الأزور ، الصحابى .. وصاحب خالد بن الوليد ، إنما هو من بنى أسد ، وبنو أسد قبيلة مضرية عدنانية ، فإذا كانت خولة هى بنت الأزور حقا فكيف يصح أن تكون عصبيتها من حمير وتبع ؟

وقد تكرر افتخارها بحمير وتبع ، فجاء فى شعرها بعد ذلك قولها :  
نحن بنات تبع وحمير      وضربنا فى القوم ليس ينكر ..

٥ — أن الأبيات التى مطلعها : الا مخبر بعد الفراق يخبرنا .. تبدو علاقتها أرق من أن تكون من شعر صدر الاسلام .. وإذا قلنا أن صدورها من امرأة جعلها تتسم بهذه الرقة .. وهو قول لا امارى فيه .. فأين نضع ما وصف به شعرها من جزالة وفخامة ؟ على أن الحكم الصحيح على شعر خولة إنما يكون نتيجة النظر فى شعرها ككل ، بعد أن يثبت وجود حقيقتى لهذه الشخصية العجيبة ..

٦ — وجاء فيما ذكرته « العاملة » عنها قولها :

« وقائعها كثيرة ، وقد أبلت بلاء حسنا فى فتوح الشام ومصر ، وعمرت طويلا وكانت وفاتها فى أواخر خلافة عثمان بن عفان » ..

ونقف فى هذه العبارة عدة وقفات .. فهى تذكر أنها أبلت فى مصر أيضا ، كما أبلت فى الشام .. ويدل السياق على أنها كانت فى مصر مع أخيها ضرار .. الذى أسر فى البهنسا .. بينما يدل التاريخ الحقيقى لضرار أنه لم يتجاوز الشام فقد توفى سنة ١٣ فى وقعة أجنادين يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى ، كما جاء فى البداية والنهاية أى أنه لم يذهب الى مصر ، ولم يشترك فى فتوحاتها .

ثم تقول أنها عمرت طويلا .. وكانت وفاتها فى آخر خلافة عثمان فإذا كانت خولة قد عمرت ، فمعنى هذا أنها عاشت عمرا قبل الهجرة .. فهى إما أن تكون صحابية ، أو أنها ولدت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم .. ولم تكن لها صحبة .. وفى الحاليتين فإن كتب تراجم الصحابة تترجم لمثلها .. ولكن هذه الكتب ، لم تذكر اسم خولة بنت الأزور اطلاقا .. ولمن شاء أن يرجع مثلا الى « الاصابة » لابن حجر .

على أنه ، ما دامت السيدة « زينب العاملة » قد اعتمدت على كتاب « فتوح الشام » وحده ، فعلينا أن نفحص هذا الكتاب .. بيد أنى أؤثر أن أجعل الكلام عنه خاتمة المطاف .. ولذلك أحب أن ألقى نظرة عجلية على المصدر الجديد الذى أضافه الاستاذ عمر رضا كحالة فى كتاب « أعلام النساء » وهو « ديوان الخنساء » .

سألت نفسى كثيرا ، بعد اطلاعى على كتاب « أعلام النساء » ، عن علاقة ديوان الخنساء بخولة بنت الأزور ، ثم ترجع الى أن المقصود هو شرح « ديوان الخنساء » وهو كتاب يضم بالإضافة الى ديوان الخنساء مراثى ستين شاعرة من شواعر العرب ، هكذا جاء فى عنوانه .. وليس هناك ذكر لمؤلفه أو جامعته ، أو عدد طبعاته ، اللهم الا تاريخ الطبعة التى بين يدي ١٣٨٨ هـ . — ١٩٦٨ م . صادرة عن دار التراث .. وقد جاء ضمن أولئك الشواعر ، خولة ص ١٤٧ ، وجاء فى تقديمها « هى أخت ضرار بن الأزور الكندى خرجت مع أخيها الى الشام ، لما فتحها المسلمون فى أيام أبى بكر ، فأسر أخوها فى بعض الوقعات قرب أنطاكية ، فلما بلغ أخته خبر أسره قالت ترثيه برثاء كثير منه ما رواه الواقدى ثم أورد قصيدته .. الا مخبر بعد الفراق يخبرنا ..

وهكذا نرى أن صاحب هذا الكتاب يعود بنا الى الواقدى ويقصد طبعا فتوح الشام ، على أنه أورد لها قصيدة أخرى مطلعها :

حل المصاب فعم الويل والحرب وكل دمع من الأجفان ينسكب  
وهى قصيدة لا نكران لفخامتها أو جزالتها .. الا بعض اضطراب فى أبياتها الأخيرة ..

والآن .. حان الأوان لنتحدث بايجاز عن كتاب « فتوح الشام » ..

### كتاب فتوح الشام :

سبقت الإشارة الى ما يدل على أن كتاب فتوح الشام ، لا يعد كتابا علميا أو تاريخيا بالمعنى الصحيح ، وأن صفة كتب القصص الشعبية ، هى الغالبة عليه .. ولكن هذا الكتاب ينسب للواقدى .. وللواقدى فى تاريخنا مكانة علمية تاريخية مرموقة ..

والواقدى هو محمد بن عمر بن واقد السهمى الأسلمى بالولاء .. وقد اشتهر بالتاريخ ، ومعظم حفظه للحديث ، قبل أهل العلم روايته التاريخية ورفضوا تحديثه .. وتولى القضاء فى بغداد ، وله مؤلفات كثيرة ، يذكر من بينها كتاب فتوح الشام ، وهو كتاب طبع طبعات متعددة ، تقبل عليه الأوساط الشعبية لما فيه من قصص وحكايات تتسم بالمغالة والمبالغة ، خاصة فى المواقف البطولية ..

يقول الاستاذ خير الدين الزركلى فى كتاب الأعلام ، وفى مادة محمد بن عمر الواقدى : وينسب اليه كتاب ( فتوح الشام ) وأكثره مما لا تصح نسبة اليه .. « ويكفى الوصول الى هذا الحكم ، أن يطلع أى القارئ فاحص على الكتاب .. بل على بعض فصوله فقط ، ليتحقق من صحة ما قاله الزركلى .. ولكن العجب أن الزركلى ،

اعتمد فى ترجمته عن « خولة بنت الأزور » على كتاب « الدر المنثور » وهذا لم يكن لها أى مصدر فى ترجمتها ، الا كتاب « فتوح الشام » على أنى لا أحب أن أخرج هذا المقال عن نطاقه الخاص ، الى انحديث عن كتاب « فتوح الشام » واطهار ما به من زيف ولكن فيما سبق أن أوردت عنه الكفاية .. فانه لا يتصور أن يجعل الواقدي « خولة بنت الأزور وأخاها ضاررا من كنده ، بينما المعروف المشهور جدا هو أن ضرار بن الأزور ، من بنى أسد ، وقدم مع وفدهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ودوره فى حروب الردة مشهور ، شهرة قتل مالك بن نويرة .. ولا يعقل أن الواقدي يجعل والد ضرار بين يدي الرسول .. بينما لم يرد فى السير ذكر لهذه الحادثة .. يضاف الى كل ذلك .. أن كتاب فتوح الشام جعل خولة صحابية فكان يضيف الى اسمها عبارة ( رضى الله عنها ) بينما لم يذكر أى كاتب ولا كتاب من تراجم الصحابة ، خولة بنت الأزور ، لا صحابية واضحة الصحبة ، ولا من بين المواليد اللاتى ولدن فى عهده صلى الله عليه وسلم ولا حتى ضمن المشتبهة فى صحبتن .. لكل ذلك ، ولغير ذلك لا تصح نسبة كتاب « فتوح الشام » الى الواقدي .. وان كان المرجح للواقدي فعلا كتاب عن فتوح الشام ، لم نره .. أو لم يصل إلينا ، أو أن له من هذا الكتاب بعضه ، وأن الأكثر قد لفق له وعليه ، أو زاد مؤلفوه المغازى .. والكتب والحكايات ..

ولقد علمت بأن بالمكتبة الظاهرية بدمشق مخطوطا بعنوان ( فتوح الشام ) وهو منسوب للواقدي ، ضئيل الحجم بالنسبة للكتاب المطبوع ، وقد يكون هو الكتاب الحقيقى الذى وضعه الواقدي ، وإذا سقطت الثقة بكتاب فتوح الشام ، فقد سقطت بالتالى روايته عن « خولة بنت الأزور » ، وسقطت بالتبعية جميع الأقوال التى استندت الى كتاب « الدر المنثور » ، فيما يختص بخولة بنت الأزور . . .

وهناك أسباب أخرى ، غير سقوط كتاب « فتوح الشام » يجعلنى أذهب الى أن شخصية « خولة بنت الأزور » شخصية غير حقيقية ، اخترعها واضعوا القصص الشعبية .. وفيما يلى أذكر طرفا من هذه الأسباب . :

### لماذا هى أسطورة ؟

١ — جميع كتب الصحابة المعتمدة .. لم يرد بها أى ذكر لخولة بنت الأزور ، حتى ولا بين المواليد الذين ولدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ — لم تترجم لها كتب الأدب القديمة المعتمدة ، بوصفها شاعرة فلا يوجد لها ذكر فى الأغاني ، أو كتب الجاحظ أو الشعر أو الشعراء مثلا .

٣ — لم يذكرها ( ابن طيفور ) فى كتابه « بلاغات النساء » وهو كتاب خاص بذكر البليغات من النساء .

- ٤ - فى تراجم « ضرار بن الأزور » رضى الله عنه ، لم يرد أى ذكر أو إشارة الى أن له أخا بهذا الاسم ، ولو كانت له أخت فى شهرتها لأشارت ترجمته اليها .
- ٥ - كذلك لم تشر تراجم أوطاة سهيمة الشاعر الأموى ، الى أن له عمه بهذا الاسم ، وأوطاة بن سهيمة هو ابن ضرار بن الأزور ، نسب الى أمه أو الى زفر بن عبد الله الذى تبناه .

### كلمة ختام :

وبعد فأن من الحق أن أذكر ، أن الحيرة التى لازمتنى منذ أهتممت بأمر خولة بنت الأزور ، والريبة فى حقيقة وجودها ، كانت على ما يبدو تلازم باحثا آخر ، وربما كان أسبق منى فى الشك .. باحث جليل يؤثر الصمت ، فلا يكتب ولا ينشر شيئا .. وهو الاستاذ الشاعر « أحمد عبيد » صاحب المكتبة العربية بدمشق .. مؤلف كتاب ذكرى الشعارين ، واليه يعزى أخراج ونشر نفائس المخطوطات ..

تعرفت على هذا الاسناد الفاضل شخصيا ، فى صيف العام الأسبق فقد مررت بدمشق لليلة واحدة زرت صباحها مكتبته ، فهش الى وعنى بما أطلب من كتب .. وكنت مهتما بأمر خولة بنت الأزور ، فسألته عما اذا كان هناك من الف عنها كتابا مفردا ، فأجابنى بالنفى ، ثم أخبرنى أنه فى حيرة من أمرها ، لأنه لم يجد ترجمتها فى أى كتاب قديم معتمد .. فتلاقى شكه بشكى .. وتحول شكى الى يقين ، الا أن يبدده باحث جديد ، وفوق كل ذى علم عليم . . .





## الرسول يربي الشباب

بقلم الاستاذ : عبد العزيز المسند

( محاضرة القيت في « المركز الصيفي للشباب » )

في الطائف عام ١٣٨٩ هـ )

أجمع الفلاسفة والنقاد والباحثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكمل الناس خلقاً وخلقاً ، وأنه كان في شبابه مثال الاستقامة والرزانة ، يحسن القول ، ويحيد التصرف في غير ما كبر أو فخر ، أو عنجهية .

وكان في حادثة سنه فتى يقصر عن ادراكه كل الناس لكنه قدوة يحتذى ويسلك نهجه .

وهذه تربية ربانية خص بها الله عبده ورسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليؤهله لقيادة الأمة ، وهداية البشرية .

وكلّم يعلم الدور الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في رضاعته وحضائنه وكفالته ، وما أن بلغ الثانية عشرة من عمره حتى دخل دور الجد وخاض غمار الحياة فشارك في حرب ضروس تشيب الوليد هي حرب ( الفجار ) شهداها مع أعمامه وشاهد فيها الكر والفر ، والنزال والقتال ، وكان يجمع السهام ، ويعين المصاب ، ويساعد أهله وقومه .

فصلب بذلك عوده وقويت نفسه واشتد جسمه واستعد لتحمل مسئوليات الحياة ، ثم بعد الحرب حضر السلم فشهد ( حلف الفضول ) الذي انتهى بتحالف هاشم وزهرة ويتم على دفع الظلم واخذ الحق من الظالم ، والا يتركوا عند أحد مظلمة لأحد الا أخذوها ، وهو الذي يقول فيه : ( لقد شهدت مع عمومي حلفا في دار — عبد الله بن جدعان — ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت .. ) .

وبعد ذلك شارك في البيع والشراء ، والتعامل مع الناس ، حتى حاز لقب ( الأمين ) ثم سافر وتفكر في الارض ومن فيها ورأى طباع الناس وحياتهم وبلادهم .

وشهر صلى الله عليه وسلم بعقله وامانته واحبه الناس جميعا حتى كانت له المنزلة العظيمة باحتكام القرشيين والقبائل المتنازعة على الحجر الأسود الى مكانه .. وحينما جعلوا الامر اليه تصرف بأناة ورجاحة عقل وادراك تام فبسط رداء ووضع الحجر وسطه وطلب الى كل قبيلة أن تأخذ بطرف الرداء ورفعوه جميعا ثم تناوله بيده ووضعته مكانه .

فوصل الى المطلوب وأرضى الجميع ، وأبعد النزاع والشقاق ، ولما اكتمل عقله واستعد لما أراد الله له ، أنزل عليه الوحي ، أمر بتبليغ الرسالة .  
وهكذا ينتهي دور اكتمال شخصيته فيتفرغ لتربية أمته .

وقد بذل في ذلك دمه وجهده فصبر وثابر وسلك كل الطرق حتى استطاع أن يبلغ رسالته ولقد كان للشباب دور فعال في هذه الرسالة في تحملها وفي تبليغها ، وفي تنفيذ تعليمات رسول الله . . فعاش معه عدد من الشباب آسوه وآزروه فرضي عنهم ورباهم وأرشدتهم وقوم شخصيتهم حتى غدوا أئمة المسلمين ، وأبطال الجهاد ، وقادة اللاحقين .

وسأستعرض عددا من الشباب من هذا الجانب الذى برزت فيه تربية رسول الله لهم .

### تربيته للصغار :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره وانشغاله بابلأغ الدعوة يلاطف الصغار ويمازحهم ويهيبهم من حنانه الشيء الكثير .

ويبدو ذلك في ( الحسن والحسين ) ابني فاطمة بنت رسول الله ، زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهما ويقبلهما ، ويدخل السرور على قلبيهما .

فقد روى البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ( قبل رسول الله الحسن بن علي وعنده الاقرع بن حابس ، فقال الاقرع ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم احدا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ( من لا يرحم لا يرحم ) ، وكثيرا ما كان يثب الحسن والحسين على ظهره الشريف فيرفعهما وينزلهما حتى يجلسا على الارض ثم يجلسهما في حجره .

وكان يشجعهما ويدعوهما للعب والسرور فعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قاعدا ، فطلع الحسن والحسين فاعتركا فقال رسول الله - وعلي جالس - وبها حسين خذ حسنا ، فقلت تؤلب على حسن وهو أكبرهما يا رسول الله ، فقال رسول الله هذا جبريل قائم وهو يقول وبها حسن خذ حسينا . ( وكان ( ص ) يفرج بين رجليه حتى يمر الحسن أو الحسين من بينهما وهو قائم يصلي ، ويحمل أمامه اذا قام ويضعها اذا جلس ، في صلاة النفل .

هذه معاملة رسول الهدى لأولاده ، وليست قاصرة عليهم بل لكل الصغار الذين يراهم فهذا اسامة بن زيد مولى رسول الله يعيش في بيت رسول الله ويعامله

معاملة كريمة كلها لطف وحنان ، فقد روت عائشة قالت : ( عثر اسامة بعتبة الباب فشح في وجهه فقال رسول الله : اميطي عنه الاذى فقدرته فجعل رسول الله يمص الدم ويمجه عن وجهه . .

وكان صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بني العباس ويقول من سبق الي فله كذا فيستبقون على ظهره وصدره فيلزمهم ويقبلهم .

هذه تربيته صلى الله عليه وسلم للصغار ، تشجيع وترويح ، وتعويد على الاعمال الطيبة التي تنفعهم في حياتهم ، وحب وحنان يغسل به عن قلوبهم ادران الشر ويكسبها الطهر والصلاح والرقّة والمودة .

وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يربها رسول الله على العبادة والعمل ، والاعتماد على نفسها .

فيقول : يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا ، نعم . . لا يغني عنها شيئا ولا بد أن تعبد الله وتطيعه وتقوم بالتكاليف الشرعية حتى يقبلها الله وحده . . ولن يغني عنها كونها بنت رسول الله .

ويقول مرة وقد تشفع أحد الصحابة بحد من حدود الله . . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، فاطمة الزهراء بنت رسول الله وحببته مثل أي فتاة من بنات المسلمين لها حقوق وعليها واجبات فلو أخلت بشيء منها لأقيم عليها الحد ولم يمنع من تنفيذه كونها بنت رسول الله ، نعم الناس سواء في الحقوق والواجبات ، قريبتهم وبعيدهم أسودهم وأبيضهم . . انها شريعة العالم كله . . فلا بد أن تكون عادلة .

وفي إحدى زيارات رسول الله لبيت ابنته فاطمة زوج علي بن أبي طالب ، تشكو الى والدها أعمال البيت وكثرتها عليها تريد أن تعرض بطلب خادمة تساعد فيرشدها هي الامه الى تسبيحات واستغفارات تساعد على أعمالها وهي خير لها من خادمة.

ايها الأخوة : لم يكن رسول الله يعجز عن تأمين خادمة لابنته ، لكنه أراد أن يعلمها هي ، وأن يضع درسا لأمته بالاعتماد على النفس والاستغناء عن الناس ، وبالعمل والجد . . والتغلب على الكسل والعجز .

### صبيان يستبقان على الجهاد :

بعد أن هزم المشركون في غزوة بدر الفاصلة أعدوا عدتهم وجاؤا بقضهم وقضيضهم لينتقموا من رسول الله وصحابته وليقضوا على هذا الاشعاع الذي بدا

يهددهم في عقر دارهم .. كانوا يريدون اخماد هذه الجذوة حتى لا تقوم للاسلام قائمة .

وعندما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر تجهز سريعا وكان المكان قريبا من المدينة ، في ذلك الوقت كان المحارب الواحد يساوي مئات عند رسول الله . وبينما هو يتفقد جيشه ويستعد للمسير اذا هو بصبيين يعرضان نفسيهما على رسول الله ويطلبان اجازتهما للانضمام الى المجاهدين ، فينظر اليهما ، ويرى انهما صغيران لم يبلغا الخامسة عشر من عمرهما ، فيردهما ، ولكنهما قد صمما على المضي في الجهاد .. فيبذلان كل محاولة للوصول الى هدفهما .

ويكلم احد الصحابة رسول الله في أحدهما ويخبره بأنه يجيد الرماية فيقبله فيبكي الآخر ويطلب البكاء حتى يبلغ الرسول ذلك فيجيزه ، قال (١) ابن هشام : ( وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الغزاري ورافع ابن خريج أخا بني حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما فقيل يا رسول الله ان رافعا رام فأجازه فلما أجاز رافعا قيل يا رسول الله فان سمرة يصرع رافعا فأجازه ) .

وهذه تربية النبوة على الجهاد والكفاح وتحمل المشاق ، لم يكتف رسول الله بكلام من بلغه بان سمرة يصرع رافعا بل طلب منهما أن يتصارعا حتى صرع سمرة أخاه وأثبت للرسول وللحاضرين كفايته ، وأنه أهل لخوض حرب قارضة ، تطير لها القلوب ، وترتعد من هولها الفرائص .

وهكذا أراد رسول الله أن يعلم أمته بأن القول لا يكفي بل لا بد من العمل ، وأن العمل هو السبيل الى الجهاد والنصر .

وخاض الصبيان الحرب ، ووقفوا مع الشجعان الأشاوس جنبا الى جنب ، وانتهت الحرب بالنصر للمسلمين وهما سليمان ، لم يصبهما أذى ، بل أوتيا مناعة واستعداد لخوض معارك جديدة .

أيها الأخوة : اننا بحاجة الى شباب مثل هذين الشابين والى شباب يتسابقون الى المعالي ، ويتنافسون لادراك النصر وانتزاعه من بين فكي الأسد ، ويومها نستطيع أن نقف في المقدمة وأن نتولى قيادة العالم .

### سيف رسول الله :

وفي غزوة احد اشدت الأمر على المسلمين ، فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقا لدفع المسلمين الى القتال والمقاومة ومن ذلك أنه رفع سيفه وقال : ( من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ ) فقام رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام اليه أبو دجانة

(١) سيرة بن هشام ص ١٠ ج ٣ .

(سهال بن خرشه ) أخو بني ساعدة فقال : وما حته يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحني . قال أنا آخذه بحقه فأعطاه إياه .

وكان أبو دجانه رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، وكان إذا أعتم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ثم جعل يتبختر بين الصفين ويتقدم الى صف العدو فلما قرب منهم أخذ ينشد :

أنا الذى عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل  
ألا أقوم الدهر في الكيول (١) أضرب بسيف الله والرسول

وهجم على الأعداء كالأسد الكاسر وقتل منهم خلقا كثيرا ، وقاتل وجالد حتى انحنى السيف بيده .

وبعد كل هذا هل تدرون نهايته أيها الأخوة : نعم لقد خرج من كل هجماته سالما ، وانتهت الحرب ونجا هو وحضر فتوحا اسلامية كثيرة .

أيها الأخوة : هكذا يكون الرجال ، ان العزم والاقدام يهبان الحياة ، وان الخوف والخور يجران الى الهاوية والموت الذي يقتنصر الأبطال في المعارك يخذ أنفاس المتقلبين على وسائل الحرير ، وفرش الديباج ، ولأن يموت المرء مسلما عزيزا ، خير من أن يموت ذليلا خائفا قد فقد كل معاني الرجولة ، ويذكرنا هذا كلمة خالد المشهورة عندما حضرته الوفاة ( لقد شهدت مائة وقعة وما في بدني موضع شبر الا وفيه طعنه أو ضربة و ها انذا أموت كما تموت العنز فلا نامت أعين الجبناء ) .

اننا حينما فقدنا أمثال هؤلاء الشباب ، وصل المسلمون الى الحال التي لا يحسدون عليها .

### من صبي الى خليفة . .

أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان له ولد كثير وكان يعولهم بالاتفاق عليهم الى أن اشتدت السنون ، وضاق به الأمر وثقل العيال عليه فأحس بذلك أقاربه وأبناء عمه ، فأقبلوا يخفون عنه ، ويأخذون من أولاده . . وكان علي بن أبي طالب من نصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فضمه اليه وكان غلاما صغيرا . . عاش في كنف رسول الله ، يراه كل ساعة والنظر الى أعماله ويسمع ما يقول . .

وكان الذكاء والفطنة قد طبع على عليهما منذ صغره فدخل مرة على رسول الله ومعه زوجه خديجة فوجدهما يعملان شيئا لم يتعود أن يراه . . فدهش وقال : يا محمد

(١) الكيول : مؤخرة الصف .

ما هذا . . . وكانا يصليان — فقال رسول الله هذا دين الله الذي بعث به رسله وانى ادعوك الى الايمان بالله وان تكفر باللات والعزى . فقال علي : هذا امر لم اسمع به قبل اليوم ، فليست بقاض امرا حتى احدث والدى . فخشى النبى أن ينتشر الخبر وأن يؤثر الناس على علي وكره أن يظهر أمره في ذلك الوقت . فقال لعلي : ان لم تسلم فاكم . . فكنتم ولكنه بات يفكر فى هذا الدين الجديد . فلما طلع الصبح بادر الى النبى فأسلم . . .

انغرست هذه البذرة الاولى فى قلبه واستمر يرتوى من معين النبوه ، يختلط ذلك بدمه ولحمه ويشب عليه عظمه وقلبه .

ورسول الله يدرك بثاقب نظره تفتح قلب هذا الشاب واستعداداه لتحمل هذا الامر العظيم وتنزل على رسول الله آية ( وانذر عشيرتك الاقربين (١) ) فيجمع بنى عبد المطلب فى دار والد على ويبلغ عددهم خمسة وأربعين رجلا . فلما اكتمل عقدهم قال رسول الله ( يا بنى عبد المطلب ان الله قد بعثنى الى الخلق كافة وبعثنى اليكم خاصة وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله ! فمن يجيبنى الى هذا الأمر ويؤازرنى على القيام به ؟ فسكت القوم . . وقام على فقال : أنا فقال له النبى اجلس !

ثم أعاد النبى صلى الله عليه وسلم قوله ثانيا فسكت القوم . وقام على فقال : أنا فقال له : اجلس . ثم أعاد النبى صلى الله عليه وسلم قوله ثالثا . فسكت القوم وقام على فقال أنا يا رسول الله !

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اجلس فأنت أخى ! وانتهى الاجتماع ولم يعلن تأييد محمد بما جاء به أحد منهم سوى هذا الشاب القوى الشكيمة الذى لم يخش فى الحق لومة لائم . ولم يدار فيما يعتقد . .

### مؤمن وفدائى :

علي أحب الرسول من كل قلبه جمع بينهما الايمان . . وتعلق بنبى الله لسبب المعاملة الكريمة التى يلقاها منه ، وبسبب الوحي الالهى الذى يصل الى القلوب فيهبها ويخرجها من الظلمات الى النور . . ان عليا يفدى رسول الله بنفسه وبأهله وبكل الدنيا . وحانت ساعة الفداء .

تآمرت قريش على رسول الله ليقتلوه وليخلصوا مما جاء به بعد أن خابت كل الوسائل المادية والحسية فى صرفه عن هذا الدين الجديد . . واعداد العدة لاغتياله فى فراشه . واجتمع نفر من قبائل مختلفة من قريش ليضيع دمه فيهم

---

(١) سورة الشعراء .

وحاصروا البيت ، وبلغ السيل الزبى واشتد الأمر وقربت الساعة الحاسمة فاما انتشار هذا الدين وأما القضاء عليه فى مهده .. وملتقت رسول الله الى على ويعرض عليه الأمر فيسارع على الى فداء رسول الله بنفسه .. ويتفقا على أن ينأى عن فراش رسول الله حتى يظن المتآمرون أن رسول الله ما زال فى فراشه .. وينأى على ويخرج رسول الله من بينهم وهم لا يعلمون ..

ويأتى الصباح ويقتحم الجهلة البيت وينزعون الغطاء فيجدون عليا .. ويرتدون خائبين خاسئين .. ويدركون فشل مؤامرتهم وذهاب تعبهم وتخطيطهم سدى .

ايه يا على لله أنت من شاب مؤمن قوى الايمان ثابت الشخصية ان هذا موقف ترتعد له الفرائص وتطير من هولاء افئدة العقلاء . .

هل نمت يا على ! وانت تتصور كيف ستقتل ويفتك بك كيف استطاع جسمك ان يثبت على الارض وانت تضعه على أرض المذبحة . .

نعم انه الايمان الذى يهيمن على كل شىء .. وانه الشباب مع الايمان حيث يجعله فى كمال قوته وتنام حسنه .

ويقرب على من رسول الله فيزوجه ابنته فاطمة فتكتمل كل وشائج القرابة له . . ويكون بيته بيتا لرسول الله وأولاده أولاد رسول الله . .

### ثمرة التربية النبوية :

كل هذه الأحداث عجت عود على وقوته ، وشدت ساعده فاستعد للجهاد . فلقد أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية فى ( بدر ) وعمره أحد وعشرون سنة .. وفى غزوة أحد حينما اختل تنظيم المسلمين وأرجف الشيطان فى صفوفهم وعاد بعضهم الى المدينة .. ثبت على وأخذ يبحث عن رسول الله فى القتلى وفى صفوف الجيش فلم يجده . فقال : والله ما كان رسول الله ليفر وما أراه فى القتلى . ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه . وما بقى خير من أن أقاتل حتى أقتل ثم كسر جفن سيفه . وحمل على القوم فانفرجوا له فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم بينهم .. فوقف بجانبه يدافع عنه حتى أنجاه الله ..

ولقد أصابت عليا فى ذلك اليوم ست عشرة ضربة كل واحدة تطرحه أرضا فيقوم ويحمل على المشركين ولا يبالي بما فيه من الضربات . .

وفى غزوة الأحزاب خرج ( عمرو بن ود ) الفارس المعروف من صف المشركين ونادى فى المسلمين من يبارز ؟ فلم يجبه أحد . فقام على وقال : أنا يا نبي الله . فقال له النبي اجلس انه ( عمرو بن ود ) .

فنادى عمرو الثانية وجعل يوبخ المسلمين ويقول : أين جنتكم التى تزعمون .  
أن من قتل منكم يدخلها ؟ فلم يجبه أحد وقام على فقال أنا له يا رسول الله .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اجلس انه عمر بن ود . فنادى عمرو الثالثة .  
فلم يجبه أحد فقام على فقال أنا له يا رسول الله فقال رسول الله انه عمرو بن ود .  
فقال على : وان كان عمرا ! فأذن النبى صلى الله عليه وسلم لعلى في مبارزته . فلما  
رآه عمرو قال له من أنت ؟ قال على . فقال عمرو : ابن أبى طالب ! قال : نعم فقال  
عمرو : غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك وأنى أكره أن أريق دمك .  
فقال على : وأنا والله ما أكره أن أهرق دمك . فلما سمع عمرو هذا منه غضب .  
وكان راكبا على فرسه وعلى واقف على قدميه فقال له على : كيف أقاتلك وأنت على  
فرسك ولكن انزل معى فاقتحم عمرو عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فمقر فرسه  
وضرب وجهه وأتى الى على فاستقبله بدرقته فضربه عمرو فيها ففقدها . وأثبت  
فيها السيف وأصاب رأس على فشجه فضربه على على جبل عاتقه فسقط قتिला فكبّر  
المسلمون فرحا بقتله ورجع على الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال  
له : كيف وجدت نفسك معه ؟ فقال : وجدته لو كان أهل المدينة فى جانب وأنا فى  
جانب لقدرت عليهم .

هذا على المسلم المخلص لرسول الله يبلغ مبلغ الأبطال ويبرهم على حداثة  
سنه . ولا شك أن ذلك من آثار تربية النبوة التى غذته بالإيمان واليقين .

وهو بعد فاضل مطيع لله يجبه الله ورسوله . .

نفى غزوة خيبر يطول الحصار — ويشد العدد على المسلمين فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويجبه الله ورسوله  
يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم كلهم يرجو أن يعطاها . فلما أصبحوا غدوا  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين على ؟ فقيل هو يشتكي عينيه .  
فأرسلوا له فدعا له وتفل فى عينيه فبرا كأن لم يكن به وجع . فأعطاه الراية وقال :  
انفذ على رسلك حتى يفتح الله على يدك .

وهذه منقبة لم تكن لسوى على رضى الله عنه . .

ويستمر على فى التقدم وفى بلوغ الشأ والأعلى حتى يوليه رسول اللل القضاء .  
فعن على رضى الله عنه قاده بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن  
قاضيا فقلت يا رسول الله ! ترسلنى وأنا حديث السن ولا علم لى بالقضاء فقال :  
ان الله يهدى قلبك ويثبت لسانك فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى  
تسمع من الآخر كما سمعت من الاول فانه أحرى أن يتبين لك القضاء . فقال فما زلت  
قاضيا وما شككت فى قضاء بعد هذا .

وبعد : فبهذا وكثير غيره رضى رسول الله عليا حتى بلغ الدرجة التى يحسده



عليها كل أحد . وحتى صار الخليفة الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم . .  
هكذا كانت التربية تشجيع وترغيب وزرع للثقة بالنفس وتمكين للإيمان وتعويد  
على الكر والفر ، وترشيح للزعامة والرئاسة . . .

### معاذ بن جبل

من أولئك الشباب الذين حظوا بتربية النبوة صحب رسول الله فى شبابه ،  
فارتوى من معين النبوة ، وعلمه رسول الله الحكمة والعلم حتى بلغ الذروة فى ذلك . .

وقد بداه باللفظ واللين والترغيب . فأسأه وقربه الى نفسه حتى اختلط حسب  
رسول الله بقلبه ودمه ومن المعاملة النبيلة التى كان يعامل بها رسول الله الشباب  
ما نقله معاذ ، قال : ( أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بيدي ثم قال :  
يا معاذ والله انى أحبك ، فقال له معاذ : بأبى أنت وأمى يا رسول الله وأنا والله  
أحبك فقال : ( أوصيك يا معاذ : لا تدعن فى دبر كل صلاة أن تقول اللهم اعنى على  
ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ) .

بهذه الكلمات اللطيفة والمقدمة البارة استطاع رسول الله أن يفتح قلب  
معاذ ، وأن يجعله يتقبل ما سيعلمه اياه . . فأين هذا من معلمى وقتنا اليوم ترى  
هل يعون مثل هذا الاسلوب التربوى الذى يوصل المعلومات برغبة وحب ، وتسلم ،  
وتطبيق فعلى لا ينتهى بمجرد نهاية الدرس أو اداء الامتحان . . اننا بحاجة الى مثل  
هذه الطرق التربوية التى تبنى العقول ، وتكون الرجال . . ولنا فى رسول الله  
أسوة حسنة . .

ويستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تربيته المثلى لمعاذ فببساطه  
ويناقشه ، دخل عليه معاذ مرة فقال : ( كيف أصبحت يا معاذ ، قال : أصبحت مؤمنا  
بالله تعالى ، قال : ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟  
قال : يا نبى الله ما أصبحت صباحا قط الا ظننت انى لا أمس ، وما أمسيت مساء  
قط الا ظننت انى لا أصبح ، خطوات خطوة الا ظننت انى لا أتبعها أخرى ، وكأننى  
أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها ، معها نبيها ، وأوثانها التى كانت تعبد  
من دون الله وكأننى أنظر الى عقوبة أهل النار ، وثواب أهل الجنة قال : عرفت فالزم ) .

ويكثر شغف معاذ بالعلم ، وانتهاز الفرص للاستفادة من رسول الله . . فيقول  
عن نفسه : تصديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف ، فقلت يا رسول  
الله . . ارنا شر الناس فقال سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر شرار الناس  
شرار العلماء فى الناس .

ويبلغ معاذ فى العلم مبلغا يؤهله لتولى القضاء والفصل فى الأمور ، فيرشحه

رسول الله لذلك وعمره عشرون عاما فيحضره رسول الله ويخبره بما عزم عليه من أنه سيبعثه قاضيا لليمن ويقول له ( بم تقضى ان عرض له قضاء ، قال معاذ قلت أقضى بما فى كتاب الله ، قال فان لم يكن فى كتاب الله قلت أقضى بما قضى به رسول الله قال : فان لم يكن فيما قضى به رسول الله قال : قلت أجتهد رأى ولا آلو قال : فضرب صدرى وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى الله . )

ثم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن كتابا بشأن معاذ ..  
وقال فيه :

( انى قد بعثت عليكم من خير أهلى فى علمهم ودينهم ) لقد أوجد فى نفس معاذ الثقة ودفعه وشجعه ليعمل فكره ورأيه ويحكم عقله ، ويبت فى الامور .. ونعمت التربية والتوجيه .

استعد معاذ للسفر وتجهز وجاء الى رسول الله ليودعه وليلتمس منه النصيحة الاخيرة التى تساعد فى مهمته الكبيرة ، فقام اليه رسول الله ، وأمره أن يبقى راكبا ، فسار راكبا ورسول الله يمشى الى جانبه يوصيه فقال : يا معاذ ( أوصيك وصية الاخ الشقيق أوصيك بتقوى الله ، وعد المريض ، واسرع فى حوائج الأرامل والضعفاء ، وجالس الفقراء والمساكين واتصف من نفسك وقل الحق ولا تأخذك فى الله لومة لائم ) .

تواضع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى ومعاذ راكب والناس ينظرون اليه يريد بذلك أن يعلم الناس حسن الخلق وسياسة الحاكم ، وتشجيع الوالى واشعاره بقيمة نفسه ، ثم هو بعد يوصيه وصية تنفعه فى عمله فهى دستور واضح لمعاملة الناس وانصافهم وتفقد شئونهم . .

وهذا الشاب القاضى بلغ من علمه ان قال فيه رسول الله ( اعلم امتى بالحلال والحرام معاذ . . ) وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمر معاذ يفيد من علمه الذى علمه رسول الله ، وحينما خرج الى الشام قال عمر : لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها فى الفقه وما كان يفتيهم به . ولقد كنت كلمت أبا بكر ان يجلسه لحاجة الناس اليه فأبى على وقال : رجل أراد جهادا يريد الشهادة فلا أجلسه فقلت : والله ان الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفى بيته .

وخطب عمر بالجابية فقال من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل .

وعن أبى مسلم الخولانى قال دخلت مسجد حمص فاذا فيه نحو من ثلاثين كهلا من أصحاب النبى ( ص ) واذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا لا يتكلم ، فاذا امترى القوم فى شىء أقبلوا عليه فسألوه فقلت لجليس لى من هذا . قال معاذ ابن جبل فوقع فى نفسى حبه فكنت معهم حتى ترفقوا .

هكذا أثمرت التربية النبوية ، وأينعت على حداثة الغرس ، وآتت ثمرها  
إيماناً وعلماً وخلقا وقضاء وقيادة . .

### اسامة بن زيد

اسامة بن زيد مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبوه كذلك عاشا  
فى بيت رسول الله وفى خدمته ، فربوا فى بيت النبوة يسمعون الوحي ويعون  
ايضاح رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولم يمنعهما كونهما من الموالى من  
بلوغ المنزلة السامية التى يحسدهما عليها غيرهما . .

ادرك رسول الله استعداد اسامة للقيادة فأراد أن يجربه ويعطيه الفرصة . .  
فعن الحضرمى قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أسامة بن زيد  
على جيش وكان ذلك من أول ما جرب أسامة فى قتال وعمره نحو من ثمانى عشرة  
سنة ، غلقى مقاتل فذكر منه بأس قال أسامة فأنتيت النبى صلى الله عليه وسلم  
وقد أتاه البشير بالفتح فاذا هو متهلل وجهه فاندانى منه ثم قال : حدثنى فجعلت  
أحدثه فقلت فلما انهزم القوم أدركت رجلا وأهويت اليه بالرمح فقال الرجل ( لا اله  
الا الله ) فطعنته فقتلته .

تغيير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ويحك يا أسامة فكيف لك  
بلا اله الا الله فلم يزل يرددتها على حتى وددت انى أنسخلت من كل عمل عملته ،  
واستقبلت الاسلام من جديد فلا والله لا أقاتل أحد قال : لا اله الا الله بعد ما سمعت  
من رسول الله . . ) .

أيها الأخوة فى هذه المقابلة تلاحظون لونين من ضروب التربية . فقد لان له  
رسول الله ورغبه حتى أدناه وسر لقربه واستمع لحدثه بشغف وشوق . .

ثم بسرعة تغيير الوجه المبتسم المتهلل الى تجهم ، وإصرار لأن ذلك الشاب  
قد أخطأ . . وعمل عملا لا يجوز فى مبدء الاسلام فنحن أمة ندعو الى قول ( لا اله  
الا الله والعمل بها ) . . فاذا امتن الناس من ذلك دعوانهم وقتلتناهم واذا قالوها  
عن صدق وإيمان صاروا إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا . .

وهكذا تربية رسول الله لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف ، وقسوة  
وقت القسوة . .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم . . وأما منزلة  
أسامة لدى رسول الله فانها قريبة وذات قدر ومكانة فعن عائشة رضى الله عنها  
أن قريشا أهمهم شأن المرأة التى سرقت ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله فقالوا :  
ومن يجترى عليه الا اسامة بن زيد حيث رسول الله فكلمه اسامة فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم يا اسامة لم تشفع في حد من حدود الله ثم قام النبي (ص) فخطب فقال : انما اهلك من كان قبلكم انهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . .

وهذه تربية قاسية لاسامة فقد ظن بطبيعة البشرية أن قربه من قبل رسول الله سيمكّنه من الشفاعة لهذه المرأة . ولكن رسول الله لا تأخذه في الحق لومة لائم حتى لو كان على أحب الناس اليه واقربهم منه ابنته فاطمة . .

ولكن هذه القسوة والارشاد اللذين يعامل بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة لم ينزعا الثقة عنه بل هو تربية وتعويد على الحق . . فقد بقيت هذه الثقة حتى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم حيث عقد له لواء لغزو الروم . . وخرج اسامة بجيشه خارج المدينة وبقي للتجهيز والاستعداد وتلاحق بقية الجند . . وفي هذه الاثناء بلغهم نعي رسول الله فبقى الى أن بويع الخليفة رسول الله أبو بكر . . فكلّم في بعث اسامة . . وفيه شيوخ الصحابة سنا وعلما ، وحكمة وقيادة . . فقال : والله لا أحل لواء عقده رسول الله . . وسير اسامة وفي الجيش صناديد الصحابة يطيعون هذا الشاب ويأتمرون بأمره ويجلونه . . وسار الجيش وانتصر وعاد للمدينة . ويؤكد أن رسول الله يعرف استعداد اسامة وصلاحيته للقيادة .

ولعل رسول الله قصد من ذلك تعليم أمته السمع والطاعة لولاة أمورهم وعدم مخالفتهم ولو كان في المرؤسين من هم خير منهم وأكثر علما ومعرفة . . حتى ولو كان الوالي مولى وكان الرعية سادة . . وكلما كان التعليم عملا كان أوقع وأكثر ثباتا . .

### كاتب ومترجم

زيد بن ثابت الانصاري بدت عليه علامات الذكاء والنبوغ منذ حداثة سنه . . وقد كان من حسن حظه أن صحب ( مصعب بن عمير ) الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل الهجرة ليعلم اهل المدينة القرآن ، وأصول الدين . وكان زيد من بينهم وعمره ست سنين واكتشف مصعب ذكاء في هذا الغلام وقوة حافظه .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان زيد من أول من عرفهم رسول الله من شباب اهل المدينة فقد روى عنه انه قال : ( أتى بي الى النبي صلى الله عليه وسلم عند مقدمه المدينة فقيل له : هذا فتى من بنى النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة فقرأت عليه فأعجبه ذلك ، فقال : تعلم كتاب يهود ، فاني ما أمنهم على كتابي ، ففعلت فما مضى لى نصف شهر حتى حذفته فكتبت اكتب له اليهم . واذا كتبوا اليه قرأت له . . ) .

اكتشف رسول الله صلى الله عليه وسلم بفكره النير استعداد زيد للحفظ والادراك فوكل اليه هذه المهمة الصعبة ، التي يحتاجها رسول الله ويكتفى بها شر

أعدائه وكانت فرصة نادرة لزيد اذ مكنته من القرب من رسول الله فكان دائما عنده يكتب له بالعبرانية ، وباللغة العربية .

ويتأدب منه بما يسمع ويرى حتى بلغ النهاية فى العلم والفقه ، وخاصة فى الفرائض والحساب حتى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ( افرضكم زيد ) . وكان من كتاب الوحي ، ومن المفتين ، وكان يعظمه الصحابة فقد حدث أن زيدا ذهب ليركب فقام ابن عباس وأمسك بالركاب فقال له تنح يا ابن عم رسول الله فقال له : لا . هكذا نفعل بالعلماء والكبار . .

وفى عهد أبى بكر رضى الله عنه عهد اليه بجمع القرآن وقال له ( انك شاب عاقل لا نتهمك ) . وكان عمر يستخلفه على المدينة اذا غاب . .

بهذه التربية النبوية بلغ زيد ما بلغ ولا غرو فى ذلك فان ذلك المجتمع كان كما ترون ، تسابق الى الفضل ، وحرص على العلم فى تعاون واحترام متبادل ، وعرفان بالجميل ولنا فيهم القدوة والسير على طريقتهم حتى يكون مجتمعنا مثاليا .

### شباب اليوم

ايها الاخوة الشباب — لقد رأيتم نماذج من الشباب وغيرهم كثير لا يسمح المجال بايراد حياتهم الحافلة وعظائم الأعمال . ويهينا أن نخرج بنتيجة تنفعنا في حياتنا وهي المقارنة بين أولئك وبين حالنا اليوم .

ايها الشباب ان هؤلاء الشباب ، آمنوا عن صدق واقتناع فأخلصوا لعقيدتهم ، وتحملوا في سبيلها كل اذى وعنت . فقد هجروا اهلهم واولادهم ، ومزاج صباهم ، والمواضع التي درجوا عليها والفوا ترابها . تحملوا الجوع ، والظنك ، والحصار ، حتى باتوا يأكلون ورق الشجر . وبوسع أى واحد منهم أن يسير بضع خطوات ليتمتع بالأكل اللذيذ ، والشراب البارد ، والراحة الهادئة . ولكن اثروا البقاء مع محمد . . وضحوا بكل غالى ونفيس في سبيل عقيدتهم وصبروا ولم يتحول أحد منهم عن هذا الدين الذى جاء به محمد رغم التعذيب والتنكيل . الى أن أذن الله لهم بالخروج فخرجوا الى بلاد غير بلادهم وأناس لم يألوا طباعهم ولا أشكالهم ، ولا يعرفون لغتهم فعاشوا معهم . . وبقوا بعيدين عن اهلهم وبلادهم يلتذون لهذا التعب ، ويتقربون الى الله بما يلاقون من جهد وعناء . ولما أذن الله لنبيه أن يترك مهبط الوحي الى مكان مهاجرة . . ليخرج هذا الدين عن الحدود الضيقة تنفس المسلمون الصعداء . وأخذوا يتفقهون في دينهم ويدعون له في كل مكان . يجاهدون ، ويقاتلون ان لزم القتال ، ويسافرون ويركبون البحر ويتسلقون الحواجز حتى انتشر الاسلام ولم يبق داخل حدود معينه بل صار دين البشرية كلها وكل ذلك بفضل الله واراادته ثم بجهد وتصميم رسول الله وأولئك النفر معه من أصحابه ومع ذلك فقد كانوا في غاية من الأدب والاحترام لرسول الله ، وفي قمة المعاملة الحسنة لبعضهم

حتى بغوا مجتمعاً مثاليا يؤثر فيه الرجل أخاه المسلم على نفسه ويقدمه على أهله وأولاده .. ويعرض عليه أن ينزل له عن نصف ماله وأحد زوجاته ويصف الله عز وجل هذه المعاني الكريمة بقوله ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون .. ( والذين تبوءوا الدار والأيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين صابروا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » .. (١)

### ويصف حياتهم الاجتماعية بقوله :

( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأنزله فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً .. (٢) .

واليوم .. ان شبابنا ولله الحمد — لا ينقصهم الفهم ، ولا ينقصهم الذكاء ، ولا الاستعداد للتحصيل والادراك .. فكل الوسائل مبذولة وميسرة ، ولا عذر لأحد في العمل والاجتهاد وادراك المطلوب بل لا نكون مبالغين اذا قلنا انه توافر في هذا الزمن من وسائل العلم والاطلاع ما لم يكن ممكناً قبل . فالمكتبات ملأت الدنيا ، ووسائل الاعلام موجودة ، والمدارس والمعاهد والجامعات في متناول كل فرد ..

اذا ما الذى ينقص شبابنا . ان الذى ينقصهم هو الثقة ! : الثقة بأنفسهم اولاً وانهم رجال مثل أولئك الرجال . . .

وثانياً الثقة في مبدئهم وأمتهم .. عند ذلك يستطيعون أن يعيدوا عصر أولئك الشباب وان من أعجب الأمور أن يكون لدى الانسان كنزاً لا يدركه هو ، ولا يعرف قيمته . ان لدى شبابنا هذا الدين القيم الذى يبحث عنه العالم أجمع ان قادة العلم اليوم ومفكرهم قد اقتنعوا بأن الدين الاسلامي الذى جاء به محمد هو المنقذ الوحيد لهم من هذه المبادئ الهدامة والمدنية الزائفة والحيرة المتأصلة فلقد قال (برناردشو) الفيلسوف الانكليزي : ( ان العالم بحاجة الى رجل مثل محمد يحل مشاكله وهو يحتس فنجانا من القهوة . نعم ان محمداً جاء هادياً للبشرية ومنقذاً لها من ورطتها ومنادياً الى الحق ومخرجها من الظلمات الى النور .

(١) ٨ ، ٩ ، ١٠ الحشر .

(٢) ٢١ الفتح .

وقال ( بورت سميث ) انه سيأتي اليوم الذي يعترف فيه كبار القوم وزعماء النصرانية العتيقة بأن محمداً بنى هذا البشر وان ما جاء به حق .

أيها الأخوة هؤلاء هم زعماء العالم من غير المسلمين وفلاسفته يثبتون بأن الدين الاسلامي هو أملهم الوحيد ولا غرو في ذلك فالدين الاسلامي هو الذي نزل من رب البشر الذي يعلم طباع البشر ونوازعهم وأهواءهم ورغباتهم ويعلم الومن وما يلد من جديد انه مبدأ ثابت لا يتغير ولا يهتز ولا تؤثر على نظامه العوامل ولا الرغبات ولا القوات ولا كثرة الانتصار ، فهو صالح لكل البشرية يضمن المصالح ويرضى جميع الطبقات ويشبع كل الرغبات . .

إذا فشبابنا مدعوون لنشر الدين الاسلامي وابلاغه للعالم كل بحسبه وعلى قدر طاقته بالطريقة التي يفهمها العالم ، وسوف يتقبله العالم بايمان واقتناع . . وهذه مهمة تتحملها عقول الشباب واجسامهم وليس لهم من عذر . . ما دام معهم الدواء والاعلم كله يطلب العلاج ونحن على ثقة تامة بأن شبابنا سيحملون الرسالة ويؤدون الامانة وما ذلك على الله بعزيز .

#### المراجع

- ١ - كتاب الله
- ٢ - سنة رسول الله
- ٣ - ابن كثير
- ٤ - ابن هشام
- ٥ - القاموس المحيط
- ٦ - محاضرات في الدين والتاريخ الاجتماعي

عبد الغني الدقر

٧ - شباب قريش في بدء الاسلام

عبد المتعال الصعيدي





## جوانب من ذاتية المتنبي في شعره

بقلم الاستاذ : حمد القاضي

« الشاعر » الحق هو ذلك الذي يغمس يراعتة في عصارة « معاناته » فيجعل منها مدادا لكل ما تجود به نفسه .. « الشاعر » الصادق هو ذلك الذي يجعل من تجاربه الريشة التي يرسم بها قصيدة وما خلد اثر لشاعر .. أو بقي مخاض لفكر ما لم يكن ذلك الأثر .. وذلك المخاض نابعا من أعماق مبدعة ..

ان قيمة « الأثر الأدبي » تكمن في صدقه .. ولن يكن صادقا ما لم يكن ذوبان تجربة .. ونتاج انصهار .. يقول الشاعر الكبير الياس أبو شبكة في تصوير بديع لهذه « الفكرة » التي اتحدث عنها :

أجرح القلب واسبق شعرك منه  
فدم القلب خمرة الأقدام ..  
واذا أنت لم تعذب وتغمس  
قلمنا فلي قمرارة الآلام  
فقوانيك زخرف وبريق  
كعظام في مدفن من رخام ..

وهكذا نرى الشاعر يبقى اسمه محفورا على جدار الزمن إذا صدق مع نفسه وتجاوب مع عواطفه .. ثم عبر — بالتالي — عما يعتلج داخل ذاته .. وما يعيش بين جوانح نفسه .. ومن هنا يحق لي أن أقول : ان « أبا الطيب المتنبي » ما كان له ليدثر بوشاح الخلود .. لو لم يكن قد وضع رماد نفسه على الورق .. ولو لم يكن صور نفسه كما يشاء .. لا كما تشاء له الأيام .

ان شخصية « المتنبي » شخصية فريدة من نوعها .. انها « شخصية » كمنت في أعماقها — منذ الطفولة — دوافع الطموح . ونوازع الغرور .. لقد نمت هذه الدوافع وتلك النوازع مع نمو جسمه وعقله .. فيها هو ينادى في صباه : —

أى محل ارتقي  
أى عظيم انتقي ؟  
محتقر فني  
كشعرة فني مفرقي

وليس هذا وحسب .. بل ان « جنون غروره » — كما يطلق عليه الباحثون — قد وصل به الى : —

يحاذرنى حتفي وانى حتفه وتكزني الانعى فيقتلها سمي ..

✱ ✱ واذا امعنا البحث عن الاسرار الكامنة وراء ذلك الاسراف الشديد في تقديس نفسه واعتزازه بها .. نجد لذلك .. اسبابا كثيرة .. ولكن اقربها اسباب نفسية .. وكل قارئ لديوان المتنبي سيخرج بعلامات استفهام كثيرة .. عن سر غروره .. ولقد تضاربت آراء الباحثين في ذلك .. فنجد الدكتور « طه حسين » .. يركز على أن أهم سبب في ذلك انها هو وضاعة نسبه التي تتمثل في ضعة نسب ابيه .. ونجد آخرين يرجعون ذلك الى دوافع فطرية غريزية نحو الطموح وحسب الانسا .. بينما نجد الاستاذ « انعام الجندي » في كتابه « دراسات في الأدب العربي » — ط ٢ — يرجع ذلك الى « انظلم » الذي ساد عصره .. وهذا من شأنه — كما يقول انعام — أن يجعل العظيم يحس في « غربة » عن عصره ومجتمعه فيأمل في هذه الغربة حلا ينقذها به من الظلم الضارب اطنابه .. فيعمل على الدعاية لنفسه لانه لا يجد احدا اقدر منه في تلك المهمة .. ولعل الناس — عن طريق هذا — يستجيبون له .. وينضون تحت لوائه .. فيقودهم الى الاخلاص ..

والحقيقة ان كل هذه الاسباب تصلح مجتمعه .. لأن تكون « السر » وراء غرور المتنبي .. وهيامه بالبطولة .. وتعلقه بالقوة .. ثم انني ارى أن الانسان .. عندما يرى نفسه مغبوط الحق — وهو أهل لكل حق — تتحرك في ذاته دوافع التعظيم لها .. والحسد لغيرها :

وفؤادى من الملوك وان كا ن لساتي يرى من الشعراء ..

ولعل هذا يتضح أكثر .. عندما ينقلب غروره وتعظيمه لنفسه الى « امنيات بيضاء » يطمح الى أن يحققها في المستقبل القريب :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصى من ملوك العرب والعجم ..

وان « التفكير » في مثل هذه الامور .. ثم الاخفاق في تحقيقها لكفيل أن يفجر منابع الاسى في قلبه .. ويجرى جداول الالم في ذاته .. ومن هنا وعندما تالم المتنبي استطاع أن يبدع قطعاً « ارجوانية » خالدة من شعره من مثل قصيدته التي قالها عندما قدم على « كافور » والتي تعتبر من اروع القصائد الشجية في شعرنا العربي :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا	وحسب المنايا أن يكن امانيا
حبيبتك قلبي قبل حبك من ناى	وقد كان غدارا فكن انت وافيّا
واعلم أن البين يشيكك بعده	فلست فؤادى أن رأيتك شاكيا

فان دموع العين غدر بريها      اذا كن أثر الراحلين جواريا  
اقل اشتياقا — ايها القلب — ربما      رايتك تصفي الود من ليس صافيا

لقد استطاع المتنبي — عندما بدا يصور خوالج الالم في ذاته .. وارتعاشات  
الأسى في نفسه .. أن يلج — بدون اذن — الى مسارب القلوب ..

وأضحى شعره على كل الالسنه .. وصار « الناس » عندما تثقل عليهم الحياة  
بأوصابها .. وترعهم بآلامها يعزفون معه على حطام قيثارته :

رمانني الدهر بالارزاء حتى      فؤدى في غشاء من نبال  
قصرت اذا أصابتنني سهام      تكسرت النصال على النصال

أو يعزفون معه هذا « اللاح » الوجداني :

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا      من بعد ما أنشبن في مخالبا ؟ ..  
أوجدتنى ووجدن حزنا واحدا      متناهيا فجعلنه لي صاحبا .. ؟  
ونصبتنى غرض الرماة تصيبنني      محن أحد من السيوف مضاربا  
أظمتني الدنيا فلما جئتها      مستسقيا مطرت علي مصائبا

\* \* وهكذا عندما نستقرئ غناء هذا « الشاعر » نرمق فيه نغمة الغرور  
المشوبة .. ونتقرئ فيه آمال الطموح التي توشك أن تكون في أغلب شعره أوصابا  
جلبها عليه زمانه ..

ان المتنبي استطاع أن يرينا نفسه من خلال ثقوب واسعة آتيا ..  
وضيقة أحيانا ..

\* \* وهنا استعرض مصاب شعره .. وأغراضه التي جالت فيها خيول  
إبداعه .. لأبرز بصمات ذاتيته العنيفة على كل شعره :

ولعل منطقية الأشياء تفرض علي أن أعرج — قبل كل شيء — على غرض  
« الفخر » عند المتنبي .. ذلك انه هو عنوان الذاتية عند كل شاعر فكيف بالمتنبي .. ؟

ان نظرات سريعة الى فخر هذا « الشاعر » العملاق .. تكشف لنا « الأصدقاء »

الصاخبة .. التي كانت تعج داخل نفسيته .. فيعلنها بقصائد شعرية يعبر بها  
عن آماله ومطامحه ..

لتعلم مصر ومن بالعراق      ومن بالشام بأنبي الفتى  
وانني وفيت وانني أبيت      وانني عتوت على من عتني ..

\* \* \*

الخيـل والليل والبيداء تعرفـني      والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
.. السـخ ..

لكن هناك شيئاً جديراً بالإشارة في هذه الذاتية التي نجدها بين تضاعيف  
فخره .. انها بوح نفسه .. وصدى صدقه .. انه يرسل « الفخر » في شعره كما  
توحى اليه نوازعه الغريزية .. وكما تهلي عليه دوافع غروره التي التصقت به  
التصاق أديبه .. ومن هنا طرز من شعره « عذارى بيان » :

فدع كل صوت غير صوتي فأنني      أنا الطائر المحلى والآخر الصدى  
وما الدهر الا من رواة قصائدي      اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا ..!

الا — وهذه الـ « الا » لا بد منها هنا — اننا نلاحظ ان هذا الاسراف في « تعظيم  
ذاته » قد أوقعه بمزالق تنافي الذوق .. وتأبأها القيم .. لقد أدى به الى «مبالغات» ..  
ان كان له الحق ان نعذره في بعضها — كشاعر — الا اننا سنعزله — بالضرورة —  
عندما تنفت نفسه أشياء تنافي المعتقد والعرف وتصل الى درجة « الهوس » ..  
فانه ان كان للشاعر ان يصيخ الى نفسه فليسجل ما اختلسه من همسها دونما  
تحويل أو تحوير .. فانه عندما يصل به الى مثل :

انما في آية تداركها الله      غريب كصالح في ثمود  
ما مقامى بأرض نخلة الا      كمقام المسيح بين اليهود  
فانه يتحتم علينا ان نرفضه ولا نقبله ..

وبعد هذه الومضة في فخر المتنبي .. لا بد من تعريجة على المصب الأكثر  
والأهم .. ألا وهو « غرض المدح » عند هذا الشاعر .. لنتقرب فيه ذاتيته وغروره ..  
اول شيء يلحظه الباحث في مدح هذا الشاعر انه — بوحى من اعتزازه بنفسه — حاول  
جهده ألا يطرى الا من هم نماذج « انسانية » شجاعة .. ورجال يحبون البطولة  
ويكبرون النضال .. ثم شيء آخر نلاحظه على مديح المتنبي .. ذلك انه يتكئ في  
« مديحه » على معاني الاقدام والقوة والتضحية .. فيبدع في هذه المناحي .. وخاصة  
عندما يجد ان هذه المعاني متمثلة في ممدوحه .. كما سيف الدولة الذى أعجب به  
المتنبي .. أو بعبارة أخرى لقد تجاوزت أعمال سيف الدولة البطولية مع نوازع حب  
السيطرة والسيادة عنده فكان ان رأى من سيف الدولة « أعمالا » أعجبت فكأنه  
يفعلها بنفسه .. ومن هنا خلق « المتنبي » في وصف المعاني البطولية .. والمعارك  
النضالية .. وخاصة عندما يأتي الى وصف موقد شرارتها « سيف الدولة » :

وقفت وما في الموت شك لواقف      كأنك في جفن الردى وهو نائم  
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة      ووجهك وضاح وثغرك باسم

ان حب « المتنبي » للبطولة وهيامه بالقوة .. جعله يتكئ عليها في مديحه

كثيرا وليس بغريب عليه هذا .. فهذه الاشياء هي التي تتجاوب مع عواطفه . .  
وتتلاقى مع خوالج نفسه .. ولعله لم يجد في شعره مثلها اجداد في قصائده المشهورة  
« السيفيات » فهذه القصائد — التي يعتبرها الباحثون أروع شعره خلق فيها المتنبي  
في اجواء فسيحة من الابداع الفني الرائع . .

هنالك « حقيقة » صغيرة ولكنها هامة هنا .. وهي : ما هي دوافع المديح  
عند هذا الشاعر ؟ ... الشيء الذي لا يقبل نقاشا أو جدلا أن دوافع المديح عنده  
انما هي دوافع ذاتية صرفة ذلك انه امل من مديحه الى أن يصل الى « الامنيات »  
التي ينشدها عند المدوحين عندما يذكرهم في شعره .. ليس هدفه من ذلك « دريهمات »  
يسد بها رمقه .. وانما الولاية والسؤدد :

ولا تحسبن المجد زقا وقيته      فما المجد الا السيف والطعنة البكر  
وتركك في الدنيا دويا كأنها      تداول سمع المرء أنملة العشر

قد يعترض معترض هنا فيقول منكرا : ان المتنبي مدح « كافورا » مع ان هذا  
ال « كافور » ليس من النماذج البطولية التي ترضي غرور المتنبي كما يرى هو ذلك —  
وهنا نرد كلام هذا المعترض بأن المتنبي لا يرى كافورا احد النماذج البطولية .. ولكنه  
مدحه انصياعا نحو دوافعه — فقد كان يطلب « الولاية » قبل وبعد كافور :

أبا المسك هل في الكأس فضل أنا له      فأنسي أغني منا حين ونشرب  
إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية      فجودك يكسوني وشغلك يسلب

وبقي نقطة لا بد من أن أشير إليها وأنا أتحدث عن ذاتية المتنبي في مديحه . .  
وهي : انه ما مدح انسانا صغيرا أو كبيرا الا وأعطى لذاته مثلما أعطى ممدوحه  
من الأوصاف واللقاب .. وهنا نلاحظه يخاطب سيف الدولة :

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه      فأنك معطيه وأنني ناظم  
ويقول :

أزل حسد الحساد عني بكيتهم      فأنت الذي صورتهم لي حسدا  
أجزني إذا انشدت شعرا فأنما      بشعري أتاك المادحون مرددا

وانه لتأنيه « لحظات » ينغمس فيها في الذاتية فيطغى بنفسه على ممدوحه ..  
وكانه يمدح ذاته لا أحدا امامه .. وذلك في مثل قصيدته التي مطلعها :

لكل امرئ من دهره ما تعودا      وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

فانه في ثلثها الاخير نسي « سيف الدولة » وبدأ يمدح نفسه .. ويأمر ممدوحه  
كانه غلام يشير عليه فيستجيب :

ودع كل صوت غير صوتي فانسني انا الطائر المحكى والآخر الصدى

\* بعد هذين الغرضين لا بد من تعريج على « مصب » آخر من مصاب هذا الشاعر العملاق « المتنبى » لنتحسس فيه بصمات ذاتيته أو أنانيته بأسلوب آخر .. هذا المصب الذى اشير اليه هو مصب « الحكمة » عنده .. والحكمة عند المتنبى انما هي نتاج عقل وعطاء تجربة .. لها تأثير على النفس ووقع على القلب . . فيها رصانة عبارة ورجاحة عقل .. فأبدعها مقطوعات رائعة في الحياة والموت .. والالم والاصاب .

ولكن لطفين ذاتيته هنا اثرا رائعا وبصمات حسنة .. فهو ما كان له أن يبدع شعره « الحكيم » الذى يتردد على كل لسان لو لم يكن تجاوب فيه مع عواطفه فصدق فيه مع مشاعره وبسط نفسه بالامها واحزانها وانقالها .. فما هو يقول في تصوير حزين رائع :

اهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه واطارده

ان حكمة ابي الطيب نبض احزانه .. وصدى نفسه .. انه استقاها من كوامن الطموح الكامنة في قلبه .. والتي قتلها في مهدها سوء طالعه .. ومن هنا احس فتالم فأبدع :

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم  
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

لكن هنالك شيئا هاما وجديرا بالتنويه عنه هنا هو : ان لجانب الاصدقاء والاعداء في حياته .. اثر كبير على شعره الحكيم .. فهو — كما يرى — بلى الناس حتى مجهم .. ولكنها « ظروف » الحياة فرضت عليه مجاورتهم ...

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

وهو عندما يتحدث عن حساده يذيب حشاشات القلوب بكلماته الشجية النابعة من اعماقه .. فيجعل الانسان اى انسان يعطف عليه ويشفق من حيث يدري أو لا يدري :

ماذا لقيت من الدنيا واعجبه اني بما انا شك منه محسود ؟  
وما كمد الحساد شيئا قصدته ولكنه من يزخم البحر يفرق ..

وويل « المتنبى » من الدهر واهله .. فهو ليس من اهل النعماء فيحسد .. او من اصحاب الثراء فيرمق .. :

فلو اني حسدت على نفسي لجدت به لذي الحظ الغثور ولكي حسدت على حياتي وما خير الحياة بلا مرور

وبعد هذه الكلمات عن شعره الحكمي الذي انطبق عليه قوله « اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا » آتى الى شعره الوصفي وأثر ذاتيته بين جوانبه .. ان شعر الوصف قد لعبت به ذاتيته دورا واسعا وكبيرا .. أجل أنه عن طريق ذاتيته في وصفه استطاع أن يصل الى ما لم يصله الأوائل .. فلقد استطاع بأبداع منقطع النظير أن يصف سوانح النفس الباطنة .. وخواالج الذات الداخلية وما يعتمل فيها من دواعي الأسى وأسباب الجزل .. وها هي قصيدته التي قالها بعد منافسة عنيفة من قبل أنداد له من الشعراء .. فصور فيها خوالج نفسه وأبان عن جنون غروره وعنف كبريائه .. وها هي مختارات منها أتركها دون تعليق :

وا حر قلباه ممن قلبه شيم	ومن بجسمي وحالي عنده سقم
مالي أكرم حبا قد برى جسدي	وتدعي حب سيف الدولة الأمم
ان كان يجمعنا حب لغرته	فليت أنا بقدر الحب نفتسم

الى أن يقول مخاطبا سيف الدولة ملمحا له أنه قد فضل عليه « أناسا » مع أنه — أى المتنبي — يفوقهم ويفضلهم فيقول في تصوير حزين :

يا أعدل الناس الا في معاملتي	فيك الخصام واثت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة	أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره	إذا استوت عنده الأنوار والظلم
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا	بأنني خير من تسعى به قدم ..
أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي	وأسمعت كلماتي من به صمم

ثم يقول فيها .. وهو يعرج على هذه الدنيا وشقائقها وأناسها .. فيصوغ حكما من امراس قلبه :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا	الا تفارقهم فالراحلون همو
شر البلاد مكان لا صديق به	وشر ما يكسب الانسان ما يصمم

.. الخ .. ومن أراد هذه القصيدة الرائعة فليرجع اليها في الديوان ص ٣٣١ .

ان « وصف المتنبي » تشخيص نفساني صادق لخوالج ذاته وخوالج البشر من حوله .. هذا فيما يتعلق في وصفه المعنوي .. وإذا القينا نظرة سريعة على وصفه المادى وجدناه هو الآخر يتجاوب مع نوازعه النفسية .. ويتعاطف مع آماله المقهورة .. وآلامه الماثلة .. لقد لاحظ النقاد في قصيدته التي يصف فيها « شعب بوان » شيئا سموه : « المشاركة الوجدانية » حتى للجملات التي لا تحس ولا تتأثر فهو يقول في هذه القصيدة مشاركا انسانه العربي غربته هنالك :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان .

كذلك عندما نتطرق الى « وصفه الحربي » أو بعبارة أخرى « وصفه اللحمي » نرى فيه تلك النغمات الحزينة .. التي املتها عليه دوافعه النفسية وحظه المتكس

الراية .. فلمركب النقص فيه وليس لغيره — عشق البطولة .. وهام بالشجاعة ، كل هذا تعويضا عن « النقص » الذى أحسه بين جوانبه .. وان نفسه التي هامت بكل ذلك لن تقف جامدة وهي ترى ألوان النضال تطرح .. ومشاهد الاستبسال تعرض من ذلك القائد الشجاع « سيف الدولة » .. من هنا أبدع شعرا رائعا ونادرا في وصف المعارك الحربية .. ووصل الى تشبيهات وصور لم يصل اليها أحد قبله .. فكأنه يعرض أمامنا « لوحات فنية » لمعارك أمامنا فيخيفك ويرهبك :

أتوك يجرون الحديد كأنما      سرورا بجياد ما لهن قوائم  
خمس بشرق الأرض والغرب زحفه      وفي أذن الجوزاء منه زمائم

بعد كل هذا نلاحظ أن وصفه جزء من ذاته .. وقطعة من نفسه ..

بقي من الأغراض التي جال فيها والتي لا بد من أن انتطرق اليها لأوضح فيها كيف كان شعره قطعاً متناثرة من نبضات قلبه .. لأكمل بهذا جوانب هذا البحث المتواضع .. هذا الغرض الذى سأنتطرق اليه هو غرض « الرثاء » عنده .. والرثاء عادة ما يكون مليئاً بعبارات الضعف والاستسلام .. ودموع البكاء والعيول .. ولكنه عند شاعرنا ينحو نحواً مغايراً .. ذلك أنه بسبب من تجلده وتجبره حاول جهده ألا يظهر في موقف الضعيف أو المستسلم حتى في مواقف الضعف والاستسلام .. ولو أخذنا قصيدة من شعره الرثائي .. لوجدناه يعمل في النهاية على الوصول الى الاعتزاز بنفسه والفخر بها .. وبيان عظمتها وصبرها وانها لا تتأثر بأية حادثة مهما عظمت .. وبأى مصاب مهما جل .. فما هو في قصيدته في « رثاء جدته » .. تلك التي أخلصت له .. وأذابت نفسها ومالها من أجله .. ووفت ونصحت له حتى أنها — كما يذكر الرواة — ماتت بسبب رسالة أرسلها اليها يخبرها بأنه سيقدم اليها عن قريب في بغداد ليتمتع برؤيتها .. فلما وصلت الرسالة ماتت من شدة الفرح فقال فيها قصيدة رائعة منها :

لك الله من مفجوعة بحبيبتها      قتيلة شوق غير ملحقها وصما  
أحن الى الكأس التي شربت بها      وأهوى لمثواها التراب وما ضما  
بكيت عليها خيفة في حياتها      وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما  
أناها كتابي بعد يأس وترحة      فماتت سرورا بي فمت بها غما

ولكنه بعد هذه الدموع التي سفحها وجدا على جدته الغالية .. لا ينسى — بوحى من حبه لنفسه — لا ينسى تمدحه بنفسه وتجلده فيها هو يقول في هذه القصيدة :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي      لكان أباك الضخم كونك لي أما  
ولو لم تكوني بنت أكرم والد      لقد ولدت منى لأنفهم رغما  
لئن لذ يوم الشامتين بفقدتها      وما تبغى؟ .. وما ابتغى جل أن يسمى  
يقولون لي ما أنت في كل بلدة ؟      بأسهل من أجمع الجد والفهما ؟



لكل مع كل هذا لا يعني هذا أن المتنبي « جلمود صخر » لا يحس ولا يتألم  
ابدا .. لكن الذى اسجله هنا أن المتنبي كان يتألم ولكن بمقدار .. ولقد رثى صديقه  
أبا شجاع بقصيدة كلها بكاء ونحيب وأسى ولوعة .. يقول في مطلعها :

بعد هذا آتني الى غرض الهجاء :

والدمع بينهما عصى طيع	الحزن يقلق والتجمل يردع
والليل معي والكواكب ظلع ..	النوم بعد أبي شجاع نافر
ما يومه .. ماومه .. ما المصرع ؟	أين الذى الهرمان من بنيانه

و « الهجاء » عند المتنبي وبسبب من تأثير ذاتيته فيه إنما هو : ثورة ناقمة  
على عصره وأهيل عصره — كما يسميهم — أنه جذوة من جذوات قلبه .. وشرارة  
من شرارات نفسه .. تلك التي شبت بين أعماقه فرماها في فم الفضاء لتبقى مشتعلة  
على مدى الزمن :

أذم الى هذا الزمان « أهيله » فأعلمهم فدم واحزمهم وغد

هذه نظرة أبا الطيب الى كل « أهيل عصره » .. وما هي الا نظرة التشاؤم  
والسوداوية .. ولكن لم نعدل أبا الطيب على هذا ؟ فقد يكون له عذره .. ذلك أنه  
قد يكون لقي منهم ما يدعوه الى ذلك .. اذ قد يكون هذا الهجاء « رد فعل لشيء  
مترسب في أعماق نفسه » .

هذا فيما يتعلق بهجائه الجماعي .. وإذا ألقينا نظرة على هجائه الشخصي  
.. وإذا هو « غضبات » مضرية يلفظها بكل حرارة .. وينفثها بكل حسرة .. ولعل  
« هجاءه » لكافور في قصيدته المشهورة يصور ذلك أبلغ تصوير :

عيد بأية حال عدت يا عيد	بما مضى أم لأمر فيك تجديد
أصخرة أنا لا تحركني	هذى المدام ولا هذى الأغاريد ..
اني نزلت بكذابين ، ضيفهم	عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدى وجودهم	من اللسان فلا كانوا ولا الجود
صار الخصي أمام الأبقين بها	فالحر مستبعد والعبد معبود
لا تشتت العبد الا والعصا معه	ان العبيد لأنجاس مناكيد
ما كنت أحسبني احي الى زمن	يسيء فيه عبد وهو محمود
من علم الاسود المخصي مكرمة	أقومه البيض أم آباؤه السود
أولى اللثام « كويفير » بمعذرة	في كل لؤم وبعض العذر تفنيد

اخيرا اختتم الحديث عن اغراضه بغرض « الغزل » عنده .. والغزل قليل  
عند شاعرنا .. واني أرى أن ذلك يرجع الى هيامه بحبه لنفسه .. فلقد بلغ به هذا  
الى أن ينسى معاني الحب ودواعي الهيام .. ولواعج الفراق .. بل أنه ليذم أولئك  
الذين لا هم لهم الا مناجاة المحبوب .. والحديث عن دموع الغرام :

إذا كان المدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعرا متيم ..

أعود الى الحديث عن أسباب قلة شعر الغزل عنده .. فأجد المتنبي يكفيني  
مؤونة البحث عن ذلك .. انه يرجع ذلك الى نكبات الحياة .. تلك النكبات التي  
لا تجعل في قلبه مكانا خليا لشاردة من شوارد الهوى :

لم يترك الدهر في قلبي ولا كبدى شيئا تتيمة عين ولا جيد

قد يكون المتنبي خالف في هذا الاتجاه أو هذا التعليل منطق الحياة وسنة  
الكون .. فان هموم الحياة وأحزانها هي التي تدعو — عادة — الى رشقات الحب ..  
ذلك ان « الحب » هو الضفة الوادعة .. التي يرتمي بين أحضانها الانسان عندما  
يضيق بهوميه وأشجانه ..

وبعد :

هل استوفيت في هذه الكلمات الصغيرة ما عنوت به هذا البحث المتواضع  
« الذاتية في شعر المتنبي » انني حين أجيب بالإيجاب فانني بهذا أغالط نفسي أولا  
وأغالطكم ثانيا وأغالط تاريخ الشاعر ثالثا ... لكنني اعترف أن هذه الكلمات انما  
هي « شموع » صغيرة على طريق هذا البحث اللذيذ والمتعب في آن في شعر المتنبي  
الذي امتزجت فيه ذاتيته . فكان صورة لنفسه فأفراحها وأتراحها وسرورها وأحزانها  
.. ومن هنا كان سر خلوده كشاعر عملاق نام ملء عيونه عن شوارد شعره ..  
وسهر الخلق جراه واختصموا .. فكان أشهر شعراء العربية وعلى الإطلاق .. وأروع  
من دبج الحكم الخالدة .. والتجارب الباقية .. التي حفرتها أيدي الزمن على جدر  
الأبدية والبقاء .. ورددها الناس بكل نشوة في حال شجنهم وجذلم .. لأنهم يجدون  
فيها « الأسرار الخفية » لبواطن نفوسهم وجراحات أعماقهم .. فهم يعتبرون  
أبا الطيب لسانهم الناطق في المهمات .. وقلمهم السيل في كل المعضلات .

#### مراجع البحث :

- ١ — مع المتنبي طه حسين هـ ١٩٣٩ م .
- ٢ — تاريخ الادب العربي لحنا الفاخوري الطبعة السادسة .
- ٣ — تاريخ الادب العربي أحمد فروخ ج ٢ ط ١٣٨٨ هـ .
- ٤ — الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف .
- ٥ — الرؤوس لمارون عبود ص ٢٧٧ .
- ٦ — ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام لعبد الوهاب عزام ط ١٩٣٦ م .
- ٧ — ديوان المتنبي شرح البرقوقي .
- ٨ — شاعر الطموح لعلي الجارم .
- ٩ — المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث لمحمد عبد الولي شعيب عام ١٩٦٤ م .
- ١٠ — أبو الطيب المتنبي عملاق الواقعية في الادب العربي لرضوان الشهاب ط ١٩٦١ م .

## علاقة اللغة الادبية بالفنون الاخرى

بقلم : فهد الخليوي

### \* مقدمة :

تطورت الصورة الفنية فى لغتنا العربية عندما أخذ الشعر الحديث يظهر فى سائنا العربية الأدبية .

وبدء من « بدر شاكر السباب » حتى يومنا هذا واللغة العربية تتطور فى صورها الفنية نحو عالم انسانى أرحب .. وللفن التشكلى سواء كان «سيراليا» أو انطباعيا ، الدور الرئيسى فى هذا التطور الفنى فى لغتنا الأدبية ، اذ أن اللغة بحد ذاتها لا تستطيع التعبير عن هموم انساننا المعاصر سيما اذا كانت قوالب التعبير مصبوبة بشكل أدبى كالقصيدة أو القصة القصيرة .. واذا القينا الضوء على لغتنا العربية نجد أنها لغة قوية وتمتتع ببراء فنى رائع ، ومثال ذلك لغة القرآن ، الا أن ما اصابها من ضعف وصل بها الى الجمود يعود سببه الى بعض المجتمعات الاقطاعية التى تنظر الى اللغة والفن عموما نظرة « كمية » صرفة والتى تعتمد على عملية  $1 + 1 = 2$  .

حتى فى نقدنا لكافة الفنون وقد طبقت هذه المجتمعات نظرتها تلك فى المجالات الاقتصادية .. والاجتماعية .. والسياسية .. وكان من جراء ذلك نمو الاستغلال والكبت والقمع وبعد أن نشطت حركة الترجمة وظهرت على حيز الوجود جماعة « أبولو » وحركات الشعر الحديث تفاعلت الأجيال العربية ، الجديدة مع تلك الحركات الرائدة حيث وجد الشعر الحديث مجالا رحبا للوقوف فوق أرضية صلبة ، متحديا جملة الأفكار الجامدة التى وقفت ضد نموه .



## اللغة والفنون الأخرى

لا تكتسب اللغة أصواتها وموحياتها من ذاتها بل هى تتحول من لغة دارجة الى فن عبر صبها وتفاعلها مع الفنون الأخرى كالفنون التشكيلية والموسيقية ..

وهذا التفاعل لا يجوز أن يصل الى حد فصل اللغة من ذاتها أى من العبث أن نفصل القائم بذاته لحساب ذات الآخر .. فالمسألة هى مسألة تفاعل اللغة عن طريق استعارة صور تلك الفنون الشعرية ، ومثل هذه الاستعارات الصورية تحققت بنجاح فى تجربة الشعر الحديث وفى القصة القصيرة أيضا فى أواخر الستينات .. ولعل النقاد الكميون ذهلوا من هذه التجربة والتي سدت عليهم الطريق فى ترويج مؤلفاتهم التجارية الكاسدة مما جعلهم يتجاهلون تلك التجربة وأحيانا يشنون عليها محلات دعائية لا تمت الى جوهر الحقيقة بصلة وضمن هذه الحالات التى أصبحت ممجوجة ما قيل أن تلك التجربة وغيرها من التجارب الأدبية الحديثة تستمد روحها من خلال استيراد « السيريالية والرمزية » من الفنون الأوربية ، وهم بهذا المنطق التجارى البحث يشطبون كلمة « تفاعل » ويضعون بدلا عنها كلمة « استيراد » .

وكان السيريالية أو الرمزية من انتاج المصانع الأوربية التى تصنع . . . السيارات وغيرها وهؤلاء النقاد يظل أفقهم ضيقا حتى يموتون ، فتلك الفنون صحيح أنها أوربية فى مصطلحها وصحيح أن الأديب العربى الحديث تفاعل معها ولم يستوردها من مصانع أوربا بل تضامن معها حسيا وانسانيا مع الانسان فى أوربا ومثل هذه الفنون الانسانية ليست وفقا على أوربى أو عربى فالسيريالية موجودة فى لغتنا العربية بشكلها الاقليمى والقومى .. أن هناك قصائد شعبية سمعتها على شفاه بعض الناس فى نجد والحجاز تتضمن صور سيريالية وقد نجد تلك الصور بشكل رائع وباهر فى قصائد أبى فراس الحمدانى ، و « أبى نواس » والمتنبى وغيرهم من شعراء العربية القدماء .. وقد أدركت الحركات الجديدة التى ظهرت بالشعر والقصة والرواية فى وطننا العربى هذا الأصل الفنى فى اللغة العربية بالاضافة الى ادراكها العميق من أن اللغة العربية تفوق جميع اللغات من حيث هى لغة شعر وروح ، ولهذا فان الأدباء الجدد يرفضون كل ما ينطوى عليه النقد الكلى الجامد من افتراضات مغلوطة تؤدى الى تعطيل لغتنا العربية وحجبها عن الشمس .. مؤمنة تلك الطلائع الأدبية الجديدة ، بأن اللغة العربية قادرة على التفاعل التاريخى الحضارى داخل جسد العالم دون المساس بذاتها ومنطلقاتها القومية ، وهى لغة غزيرة تعبير وتستعير ، ومن هذا الأحساس تبقى لغتنا فى صيرورة من صيرورة مع الزمن ومن أهم اللغات تأثيرا على الاجيال .

## \* اللغة ك « كم »

يمكن القول بأن اللغة بتكوينها حشد هائل من المفردات المتناثرة يتجمع بعضها حسب الحاجة ويرتبط حتى يصل الى رمز لشيء ما من الأشياء واللغة بهذا المستوى لا تصلح أن تكون أداة للتعبير الأدبي ، بل تقف كعامل ضرورى للمفاهمة بين البشر . . ولتبادل التحيات والتهانى بين الأقرباء . . وتصريف شئونهم التجارية واللغة بهذا المستوى تعتبر « كما » جامدا يقع فى حدود التداول اليومى الا أننا نستطيع أن نفصلها من هذا الكم الثقيل ونمنحها صفة التعبير الفنى وذلك داخل إطار العمل الأدبي . . لكن اللغة تظل فى هذا المستوى أكثر كما وأقل كيفا لدى مقارنتها أمام لوحة فنية أو قطعة موسيقية . . والفنان هو القادر على تنمية العلاقة بين اللغة الأدبية والفنون التشكيلية وذلك عن طريق مهارة المزج بين موحيات العبارة ودهشة الألوان .

## \* الأبداع :

حالة المبدع تشبه حالة « المتصوف » أو حالة « العاشق » والمبدع يجد خلاصه المادى والروحى فيما يكتبه أو يرسمه أو يوسعه والمرحلة التى يجتازها المبدع أو يعيشها حالة صعبة وشرسة يتحول الالم فيها الى شمول انسانى وتكمل صورة المبدع داخل عمله الفنى حيث يتم حضوره وحضور العالم فعندما يكتب قطعة أدبية يكون فى ثناياها يرسم ويعزف ويعطى لفته قدرة الارتفاع كى تعانق أفعال الصور والأنغام . .

والأبداع فى ذات المبدع يشبه التأثير « الميتافيزيقى » الذى يحيط بأسرار الكون ولهذا فإن المبدعين يتميزون عن غيرهم بغريبتهم عن ذواتهم والغوص فى تحليل ذوات انسانية أخرى . . والمبدع فى هذه الحالات ليس ساحرا أو بهلوانا ولا يختلف تركيبه « الفسيولوجى » عن بقية البشر بل يتميز عن الآخرين بصفات روحية فى كثافة الحس ووحدة الرؤيا وقدرة الخلق الفنى وهو يكتسب بهذه الميزات صفة الانسان الباهر . .

## \* الترجمة :

نقل اللغة من اقليمها الى أقاليم أخرى يتم على حساب تشويه صورها الفنية فى حالة استعمالها كتعبير فنى . . ونحن نقرأ كهرب قصائد « لوركا » و « نيرودا » ولكننا لا نستطيع تذوق صورها الفنية الأمر الذى يحدوا بنا الى تقبل هذه القصائد كأفكار عظيمة لا يتطرق لمناقشتها مجرد مفكر . .

وعلى هذا الأساس فليس من شك أن لوركا ونيرودا من أعظم الفنانين فى عالمنا المعاصر الا أن نقل اللغة خارج حدودها ينزل بها الى مستوى الفنون الأخرى ، ما لم تكن داخل حدودها ، وعلى هذا فإن اللغة العربية بعكس الفنون التشكيلية والموسيقية فالفن التشكىلى أو الموسيقى كلاهما ينتميان الى الشمولى المطلق . .

فمثلا لوحة « الكرسي الأصفر » لـ « فان كوخ » يستطيع المرء معها كأن موقعه المكانى أن يتذوق ويشعر بالعوامل المكتظة فى تلك اللوحة ويدهش للقدرة الفنية لدى هذا الفنان الذى استطاع أن يخاطب العالم عن طريق خطوطه المتعرجة والوانه الصارخة المعذبة وبأماكن المرء أيضا أن ينصت بتأمل لذيق الى مقطوعات « موزارت » الموسيقية وهذا دليل على عجز اللغة الأدبية من التعبير الفنى الشمولى أمام الفن التشكيلى والموسيقى ما لم تتفاعل مع تلك الفنون الرحبة وتندمج بأطوارها الصورى .. واللغة الأدبية حتى وهى داخل حدودها لا يمكن أن تحمل بذور الأبداع ما لم تنمو مع هذه الفنون وتستعير منها . .

أن الفنون التشكيلية والموسيقية غالبا ما تكون غامضة ومبهمة وهى داخل حدودها التى ولدت فيها وغالبا ما يكون العمل الأدبى « الكمى » داخل هذه الحدود أكثر رواجاً لدى أكثرية من الناس وهذا يرجع الى أن هذه الفنون تطرق أبواباً إنسانية رحبة تكون خارج اهتمام هذه الأكثرية وخارج وعيها المحصور بتأمين الرغيف والمسكن والعربة وبعض هذه الطبقات « البورجوازية » من الناس وصل بها الحال الى الكفر بهذه الفنون .

والذى يؤسف له أن أغلب الكتاب العرب يردون تلك الأفعال أخذوا يشتغلون بمثل هذه الآداب الكمية التى تتسم مضامينها وأشكالها بالهذيان والسرذ السطحى .. أن القارئ العربى يصطدم يوميا بهذه المؤلفات التى تملأ المكتبات ويكاد يصاب باليأس من عدم وجود كتاب يملأ عقله وحسه الروحى ...

فأغلب هؤلاء الكتاب لا زالوا يؤلفون كتباً تجارية وبالجمله إلا أن هذه الأغلبية من الكتاب لم توفق حتى الآن لكتابة سطر واحد يمكن أن ينسب الى الكتابة .. اننا كشعب عربى بحاجة الى لغة ترتفع الى مستوى قضايانا المصيرية .. لغة تصور وترسم معاناتنا الحضارية لا لغة تهذى وتجتر حنين الماضى .

❖ لوكا : تقبلناه كأفكار .. ولم نتذوقه . .

❖ فان كوخ : استطاع أن يخاطب العالم من خلال خطوطه .. والوانه المعذبة!!!





## ثم يأتي ادب الشفرة ؟

بقلم : سليمان الحماد

### التسرع : نافذه : —

اعترف بأني أشعر بالامتناع . كلها فكرت فيها سأحدث عنه الآن : — وكان ذلك منذ شهور — وقد شعرت به أكثر عندما شرعت في الكتابة فعلا : لعل مرد ذلك ، ان هذا الحديث ، قد يترك عند البعض شيئا ، أو انطباعا ما — ربما سيئا — على كل حال ، أنا لا أود اغضابكم ، وحتى لو تعرضت لبعض مشاعركم المنشورة . وهي في الغالب الكثير مشاعر خاصة — وكلنا يكره انتقاد مشاعره الذاتية — ولكن كان يجب أيضا أن لا نشغل الآخرين « بفلسفات » ايهامية لتجارب أو مشاعر خاصة ، كما كان علينا ، أن لا نتسرع في نشر ما نسطره ، قبل اعادة النظر فيه .

نحن الكتاب نرتكب بعض الحماقات الطفيفة ، عندما ننشر أشياء سطحية ، على انها أشياء ذات قيمة فكرية ، أو أدبية ، ولعل مرد ذلك الى أننا نتسرع في النشر ، أو نحذف حساب النتيجة الآتية بعد النشر ، وقد يكون لمجرد أن مثل هذه الكتابات ، مشاعر ذاتية لا نتظر منها فائدة متوخاة . أو طرح فكرة تستحق الدرس والمناقشة . ولكننا — أحيانا — ننشرها على انها أفكار ذات جذور وأبعاد عميقة لأنها تمثل عصارة تجاربنا في الحب أو الحياة !! فيها تكون بالنسبة لغيرنا طلاسمة والغاز مبهم !! وتلك ما يحسن أن نتفق على وسهها بالطيوف المكتوبة . والرؤية بالنسبة للطيوف مهروزة في كثير من الحالات ! ولم يكن حسنا مني أن أتحدث عما تنشرونه ، بين الحين والآخر من غامض القول ، ومبتور الأفكار . لأنني لست ذلك الذي يود اغضابكم فيقول شيئا أو رأيا مناقضا لما ترتأونه الصواب ! أو الفذلكة الأدبية ، ولكن لا بأس ، إذ انه من تصادم الآراء تبرز الحقيقة ، ويتضح الطريق . ولكن متي — ما — كان الغرض من ذلك التصادم شريفا ، ومؤملا أن تكون له نتائج خيرة . والذي أدركه ، ويدركه الجميع أن ما ينشر لا يخص كاتبه لأن ما يقصد به — في الدرجة الاولى — الفائدة . أو افادة القاري — بتعبير الصق وأوضح — وتبعاً لذلك فان على هذا القاري أن يقول شيئا فيما ينشر من أجله . خصوصا اذا كان يعجب سلفا بكاتب الحديث . أو القصة ، أو القصيدة ، لأنه ليس مهملًا في هذه الحالة ، لأنه الملتقى والمعني بما نشر وينشر . وليس عليه بالتالي أن يقبل كل الأشياء أو الأفكار من معجبه ، وعليه أن يرد الالتباس ويناقش غامض القول ، وهكذا يجب أن أقول رأيي فيما أقرؤه ، فالكاتب — منا هو القاري قبل وبعدد .

ان ما يجعل افكارنا محلية ، تدور في فلك مثلث ، اننا لا نحرص على أن تكون ،

أو يكون — انتاجنا بتعبير الصق — أعم وأشمل ، ليس جميعنا بطبيعة الحال .  
ثم أن أيا منا أيضا يود أن يخرج انتاجه الى المجال الفسيح الرحب .. تلك حقيقة ،  
ولكن درجة التفكير في هذه الرغبة ، تختلف في الحرص والالاح ذاتي من كاتب  
الى آخر ، كلنا نود أن يخرج نتاجنا الى خارج الحدود اذا . ولكن بعضنا يود فحسب ،  
فيما كان يجب أن يود ويعمل على ابداع الخصائص ، التي تجعل هذا الانتاج قابلا  
للانتشار — للتصدير — ومقبولا لدى الأذواق الأدبية الأخرى !!

### الكاتب يصنع مكانته ! مثل

و .. يتألم الكاتب اذا ما رأى كلماته تسقط مرتعشة التعبير ، في زاوية اللا أهمية ،  
وقد يطيل التأمل والتفكير في مصير كلماته الذابلة ، والكلمات الذابلة — عادة — هي  
تلك التي لا تؤدي الى نتيجة — أو ربما نتائج — فكرية ، ولا تحمل معاني ذات دلالة  
حضارية ذهنية ، قد يطيل مثل هذا الكاتب التأمل والتفكير ، وقد لا يهتدى الى نتيجة  
حاسمة — في كثير من الحالات — ربما — : لأنه يجهل ان تلك الزاوية ، ليست سوى  
أبعاد الثقافة التي يعايشها — بالتأكيد نوعية الثقافة فقط — وأيضا ماهية أفكاره هو !!  
ان الكاتب هو الذي يصنع اللا أهمية لكلماته دون أن يدرك ذلك سلفا ولكن من  
المؤكد انه لا يقصد ذلك .

ان لكل كاتب نظريته الخاصة — الانطباعية — التي تختلف من حيث العمق  
والاحساس والاهتمام ، أو السطحية واللامبالاة عن نظرات الآخرين المتفاوتة كذلك ،  
لمرئيات الواقع أو الشيء المعين المحسوس ، ونستطيع — أن نثبت بقليل من الحذر —  
أن النظرة الفاحصة لشيء ما .. هي الامتداد الحقيقي للاحساس بقيمة هذا الشيء  
بعمقه ، بسطحيته ، بمدى قيمة وجوده أو ضرر وجوده — من عدمه — تعميق النظرة  
في موضوع ما ، يعني الاحساس بفائدة أو خطورة هذا الموضوع ، ان هذا القول  
ينطبق على الأشياء ذات النتائج الأدبية أو الفكرية — بشكل ما .

وان لكل كاتب كلمته ، وهذه الكلمة تعنى عند مناقشة المشكلة أو الشيء المرئي ،  
أو المحسوس من قضايا فكرية أو أدبية هذه الكلمة تعنى نتيجة أو مقياس احساس  
الكاتب تجاه ما يعرضه أو يعرض له أمثال ما سبق ذكره . وتضع بالتالي ترتيب  
الكاتب في قائمة أولئك الذين يناقشون نفس القضايا ، ويقاسمونه رسالة الكلمة ،  
ان كلمة الكاتب تسبق الحكم النقدي عليه ، فمنها يستخلص الناقد رايه فهي المؤشر  
العقلاني في ميزان الفكرية المطروحة ، أو المشكلة المرئية أو القضية الأدبية المعاشة  
والكاتب بكلماته يستطيع أن يضيف الأهمية المضافة عليها من كاتب آخر بكلماته كذلك ،  
على أنه من هذا المنطلق يكون التفاوت والاختلاف بين الكتاب . ومن هذا المنطلق أيضا  
يصنع الكاتب الواقع الذي يراه هو ، فقط !! وقد يحدث أن يكون هذا الواقع هو نفسه  
زاوية اللا أهمية ، ان المجتمع لا يصنع — أو يقيم — الحيطان لترطم بها الكلمات  
ولتسقط من ثم مرتعشة الملامح والتعبير في زاوية اللا أهمية . ولكن الكاتب وحده

هو الذي يصنع الواقع المناسب لكلماته ، وهو الذي كذلك يصنع اللا أهمية لنفسه أو انتاجه ، بعدة أساليب وطرق كان يريدونها عونا ، ويظن انها غير واضحة المعالم عند القاريء ، فتبصرها القاريء ، فوضع الكاتب في هذه المكانة أو تلك !

منذ سنوات كان الكاتب عبد الله عبد الرحمن جفري ، لامعا في وسطنا الصحفي ، ولم يكن ثمة من « داع » لمقارنته بزميله الكاتب حمد القاضي ، اذ كان « مقدما » ؟ ! حينذاك ، وكان القاريء متابعا ومتبصرا في آن ! بحيث ميز ظل أسلوب الأديب المصري أنيس منصور الذي بدأ يتضح ويعلق عن نفسه في انتاج الجفري وأسلوبه ، فأعلن القاريء عن هذا التقليد وتجاهل الجفري ووضعه في زاوية اللا أهمية ، فحاول الجفري ( بذكاء ) أن يعود الى ذهنية القاريء بنفس الأهمية السابقة فلجأ الى الطريقة الجبرانية في الأداء النثري ، فتأثر بجبران خليل جبران الى درجة أصبح معها مقلدا ، ولم يستطع أن يتخلص من التبعية الأدبية التي حملها اياه هذا التأثير . وبعض المقلدين ربما فاقوا من تأثروا بهم الى درجة التقليد ، وتلك حالة نادرة ، تذكرنا بأفلاطون وسقراط .. أما مثل هذا التأثير والتقليد فلا يعدو أن يكون ظلا — أيضا — غير واضح الرؤية للاصل المبدع — بفتح الدال — وهذا ما جعل الكاتب الجفري يدور حول نفسه وحول مؤلفات أنيس منصور فلا يتخطاها الى شيء من الابداع ، ولكن الى محاولة تقليدية جديدة ، ولعله كان يظن أن القاريء انشغل بالجديد عن القديم ، الى درجة نسى معها ، بلاغة العرب في القرن العشرين « ومناجاة أرواح » وغير ذلك من الجبرانيات القديمة . قبل ذلك مثلا كان الجفري يقول « احترقت بالمستحيل والخرافة (١) » لأن أنيس منصور يقول : « من الخرافة أن نقاوم الخرافات » (٢) ولعدم مقدرة الانسان على مقاومة شيء ما فمن الجائز أن يحترق به ولو — مجازا —

ونأتي الى شيء هو أكثر من مجرد التأثير والتقليد ، وعلى القاريء أن يسميه ما يشاء ؟ !

يقول الاستاذ أنيس منصور « مأساة مؤلفي المسرح هذه الايام هي أن الواحد يحلم بتأليف مسرحية ، ويكتب شيئا آخر ، والممثلون يؤدون شيئا ثالثا ، والجمهور يفهم شيئا رابعا » .

ويقول الجفري « الذي يحدث للناس لا يكتبه ادباء الرواية ، والذي يفهمه الناس بعد قراءة كل رواية في الغالب شيء لا يقصده الكاتب ولم « يهدف اليه » يلاحظ أن المسرحية الممثلة عند أنيس منصور صارت رواية مقروءة عند عبد الله جفري ، وفي موضع آخر تتحول الى قصيدة ، وهكذا !!

ثم أن الجفري تحول الى تقليد الأموات بعد أن شاح عنه القاريء الذي يحب الأصل من أنيس منصور ويرفض الصورة من الجفري — نفسه —

---

(١) لحظات .. عبد الله جفري

(٢) قالوا .. أنيس منصور

يقول جبران خليل جبران من مقالة « تحت عنوان الكلام وطوائف المتكلمين »  
لقد مللت الكلام والمتكلمين ! لقد تعبت روعي من الكلام والمتكلمين لقد ضاعت فكرتي  
بين الكلام والمتكلمين » وبعد استعراض لماهية الفكرة يعود فيقول « والآن وقد ابنت  
بعض « قربي » واشمئزازي من الكلام والمتكلمين . أراني كالطبيب المعتل ، أو كمجرم  
يقف واعظا بين المجرمين . فقد هجوت الكلام ولكن بالكلام ، وتطيرت من المتكلمين وأنا  
واحد من المتكلمين (١) » . ويقول الجفري « سئمت الكلام يوما . . سئمت الكتابة !  
أخذت ورقة وصففت فوقها نقاطا متراصة ، وتخيلت ان أمامي انسانا يشاركني لعبه  
المربعات والنقاط ! النتيجة : انتصر علي « الخيال » الذي وضعته أمامي انتهى  
نفس السأم ، ونفس النتيجة التي انتهى اليها جبران ، فقد انتصر عليه الكلام ، الذي  
جاء في صورة « خيال » لدى الجفري تماما كما تحولت المسرحية الى رواية .

ان ضغط الأفكار المطولة ، لا يعنى اختفاء ملامحها في الأصل .

وان الكتابة حالة افراغ للمحتوى الذهني الواعي ، ولا ريب ان المتأثر بأسلوب  
ما ، يتموج احساسه بتأثره ساعة رسم الصورة أو الفكرة الملقاة التي كانت تمثل  
قبل الطرح « المحتوى الذهني » وقد يعترض مثل هذا السؤال : من ذا الذي بمقدوره  
ان يفصل بين عناصر التموج هذه ، وبين ذاتيته الذهنية في اطار الصورة ؟ ! عندئذ  
يكون « منطوق » الجواب : ذلك الكاتب الذي لا يتأثر سلفا ، ولا يقلد أبدا ، انه المبدع .  
وتلك حالة من الصعوبة بمكان ، ولهذا فان تشرين جبران انتقل من « مناجاة أرواح »  
الى لحظات الجفري « كلما عاد « تشرين » تثبتين في حدائقي كالزهرة الموسمية وتنوى  
اغصاني بعدك ! »

وهكذا نجد ان الكاتب عبد الله عبد الرحمن الجفري وضع نفسه في مكان اللا أهمية  
بالنسبة للقاريء الذي كان يرى فيه امكانية واعده لو سلم من التأثر بأنيس منصور  
وتقليد جبران ، لقد وضع نفسه في مكان اللا أهمية ، في حين كان يجهل فيه بصيرة  
القاريء ، ودقة ملاحظته . اما الآن فمن الصعوبة ان يستمر وأصعب من ذلك أن يبدأ  
من جديد !!

أجل : لم يك من داع لمقارنته بزميله الكاتب حمد القاضي « آنذاك » فقد كان  
الجفري « متقدما » . . اما الآن ولهذه الأسباب فقد تأخر الجفري ، وتقدم القاضي !!  
ولم يعد من سبيل لمقارنته بالقاضي فقد أصبح القاضي متقدما عليه بمراحل ابداعية  
— وربما استطعنا — في انتاج القاضي — أن نعيد ما نقرأ منه الى مدرسة أدبية معينة ،  
لنقل مثلا انه يكتب وجدانياته « برومانسية » حزينه ذات منلوج درامي البوح والاداء .  
ولكننا لا نجد ذات السهولة لو حاولنا ربطه بانتاج اديب ما ، كما هي الحال بالنسبة  
للجفري ! تحت عنوان ورقة عزاء ، نورد هذا الشاهد للقاضي « كل مواسم الفرح ،  
وحقول الحنين ، وأريتها في قبر قلبي . حتى بقايا الذكرى اسدلت عليها شرار النسيان .

(١) مناجاة أرواح جبران خليل جبران .

فخفتك الآن يمتلكه غيري .. بعد أن كان نبض حسي وبعضاً من تاريخي .  
اليوم فقط .. حملت بقايا نفسي الى لحظات عزيزة سكنت — بكل هدوء —  
بين ثنايا عمري وشجني .

مواسم الجراح « التي اشعلت احزانها بين حناياك .. اعادتني اليك .. سرقت  
عصافير زمني ، الى حقول جراحك . ان الوفاء ليس هو اقتسام عطر الزهور فقط ..  
الوفاء مثلها هو استحمام في ضوء القمر ، هو ابلغ وأصدق عندما يكون اقتساماً  
للحزن . وللدمة ولقسوة الزمان .

انني أعرف عمق حزنك في فجيعتك « بغالبك » ولكن ما يريحني انك فوق الضعف  
في أشد حالات الضعف . لقد كان هو صانع الحب لك بالعطاء ، فكوني له صانعة  
الوفاء بالصبر « انتهى » .

وهكذا : فعلى مستوى انتاج الشباب ، نستطيع أن نلمس خيط الابداع والاستقلال  
الفكري عند القاضي ونستوضح طيف المحاكاة والتأثر والتقليد عند الجفري !! — مثلاً .

وفي البدايات ، قليلون هم الذين يبدعون الاسلوب والنهج والمنحى الأدبي  
الذي يرتأون مواكبته ، ومناسبته كذلك لمعطياتهم الثقافية ، ونصورتهم الفكرية  
الابداعية ، لقليلون هم الذين لا يتأثرون بأساليب غيرهم في الاداء الشعري او النثري .  
فكما نعرف جميعاً . ان الكاتب او الشاعر في خطواته الاولى ، يكون في الغالب الكثير  
مترسماً لخطى غيره ، ويأتي ذلك كرد فعل لأعجابه بأديب أو كاتب هو يراه من  
المبدعين . أو يكون ذلك حصيلة ثقافية « تراكمية » عن منحى ، أو عن مدرسة أدبية  
ذات تأثير وذات وضوح وبروز في الساحة الأدبية . كمدرسة « المهجر » وأبوللو  
في الشعر ، والرافعى والزيات والمنفلوطي في النثر . وهكذا يتأثر الشباب بشيوخهم ،  
ويتأثر الشباب بالمدارس الأدبية ، وبالمناحي الفكرية ولكن المتأثر بمدرسة أدبية ما ،  
يختلف عن المتأثر بأسلوب وطريقة أديب بعينه « فالرمزية » و « الكلاسيكية »  
و « الرومانسية » اتجاهات أدبية تدخل « ضمناً » في النزعات التجديدية في الأدب —  
بل انها تجديدية المنشأ — ولا تعدم مثل هذه المدارس ، من مؤيدين ومعارضين كذلك  
والمتأثر هنا باحدى هذه المدارس او الاتجاهات ، قد يبرز اذ ينتج على مستوى الابداع  
فلا يكون تابعاً أو مقلداً ، ولكنه منتمياً — يعتبر — لمدرسة أدبية ما ! والانتفاء لا يتعارض  
مع صفة الابداع . بينما يختلف الأمر والنهج بالنسبة للتأثر بالأشخاص ، اذ في هذه  
الحالة ربما كان المتأثر انعالي النظرة الأدبية عاطفي التأثر فيكون مقلداً كما هي  
حالة الكاتب عبد الله عبد الرحمن جفري ، الذي هرب من أقوال أنيس ، فوقع في  
مناجاة جبران !! وتلك حالة من حالات التسرع ونشدان الحضور في الأذهان ، ولو  
على قاعدة غير ذي ابعـاد !

### أمثلة على مستوى المقالات

ذات مرة ، قال لي ملحن كبير ، في طريقي الى منزلي ، وكان الجو منعشاً

بفضل « الرذاذ » المتساقط من الغيوم الداكنة ، وكنت أقود سيارتي برفق ، خطر لي أن أجرب حظي مع كلمات قصيدة حفظتها لتوي وفي مدى أربع ساعات لأعجابي بها وبدأت « أدندن » مع نفسي وكان اللحن الذي عثرت عليه ، أو بدأت أترنم به بطريقة سلسة ، يبدو ممتعا ومطربا للغاية . عندها أسرع للوصول الى منزلي لتسجيل اللحن قبل ضياعه من ذاكرتي ، وفعلت ، وكنت أحسبه أفضل ما لحننت حتى تلك الليلة !! لا أدري لماذا !! ولكن لعل « لطراوة الجو » وارتياحي النفسي ،

واعجابي اللامتناهي بكلمات القصيدة كبير دخل في تصور ذلك اللحن ممتعا ومطربا !! وفي الصباح الباكر ، وقبل أن أتناول وجبة الإفطار ، استمعت اليه ، وبعد ترديده عدة مرات اتضح لي أمرا مضحكا ، فقد اكتشفت أنني لم أضع حتى تلك الليلة لحنًا اسخف ، ولا اضعف ، من ذلك اللحن الذي حسبته أفضل ما عملت ، وقد شككت في مقدرتي الفنية ولكنني علمت أن تأثير كلمات القصيدة ، هو ما جعلني اعتقد علاوة اللحن وقوته !

يبدو ان هذه الحكاية ، أوجدت نشازا فيما نتحدث عنه ، ولكن لا بأس !! فان ذلك مجرد مثل فني — يصح على ناظم القصيدة ، أو كاتب المقالة — سألقرنه بمثل كتابي :

فلقد قرأت كما قرأ بعضهم « الفن من يعرفه » الصفحة السابعة ، عكاظ العدد « ١٣٨٥ » ٢٠ ربيع الاول ١٣٨٩ هـ تلك مقالة لا تخلو من خفة الظل ، والفائدة المزدوجة لفن الأغنية وللأسماء الواردة فيها ، ولكنها أيضا مقالة مبتورة ، وخصوصا اذا علمنا انها بقلم رئيس التحرير الذي يفترض فيه أن يكون أكثر ادراكا والمأما مما أظهرته أو أبرزته عنه هذه المقالة . فقد تحدث كاتبها الاستاذ عبد الله عمر خياط ، عن فن الأغنية ، وهى مبتورة لأنها جاءت نتيجة ذلك الانطباع الذي خلفته مناسبة عابرة ، وليس عن معاناة أو ملاحظات — متراكمة — قديمة ، يقول الخياط : « وبمحض الصدفة التقيت ليلة في منزل الفنان طلال مداح بمجموعة من الفنانين الذين اتحفونا بشيء من الفن ، منهم الفنان محمد عبده ، والفنان طلال ذاته ، وفنان آخر من آل الككتاوى لا يحضرني اسمه الآن ، ولكن الفرحة ما تمت فقد نكد أحد مدعي الفن الليلة » انتهى . وهي — أي المقالة — مبتورة أيضا لأنها تحمل عنوانا أكبر منها وكان يجب أن تعنون بـ « فن الأغنية ، من يعرفه » ذلك أقرب لواقعية الموضوع ، لأنها لم تتحدث سوى عن الأغنية — ليس ذلك مهما الآن — وانما الذي يهم أو يؤخذ على الاستاذ الخياط كغير مدرك لجوانب موضوعه — حيث كان يجهل الكثير من أهل الفن — قوله « لا بد لنا من التصفية » فهناك طارق عبد الحكيم الذي يشكل مدرسة بحالها في الفن ، وطلال الذي استطاع أن يثبت أن في الجيل الجديد فنانون — فنانون — بحق وحقيقة ، ومحمد عبده بصوته الحالم ، وعبد الله محمد بصوته البلدي ، وفنانون من بداية الطريق سمعت أن فيهم عبادي الصاعد ، ولكن حتى اليوم لم أستمع اليه . . وليس مهما هذا ، ولكن المهم هو الارتفاع بالفن » انتهى ما أريده مثلا أو المح اليه

بالتسرع . فقد كان يجب أن نحدد ما نعني على الدوام ، اذ ليس الفن كما يفهمه الاستاذ سلفا ، هو الأغنية فحسب ، ثم أن ما ذكرهم ليسوا كل شيء مع تقديري لطارق ولطلال . وهو يتحدث عن التصفية وذلك يعني بالتالية تصفية البقية التي لم ترد في مقالته ، وأنه ل يبدو مؤسفا أن يسقط من حسابه سعد ابراهيم ، والحمادي وغازي علي وغيرهم ممن يواكبونهم في المستوى اذ انهم لا يقتلون بحال عن عبد الله محمد و « الكلكتاي » وعبادي الجديد بل ان الفنان سعد ما فتىء ينشر لونا شعبيا محببا ويحافظ عليه من الضياع مع تطويره حريصا على جوهره — وكذلك بفعل الحمادي وغازي علي .

### على مستوى الكتب

ثمة حكاية وأخرى ، لا تروقان لبعضكم ، ولكن أعذروني في إيرادهما ، لأن سياق الحديث لا يزال عن التسرع في الإنتاج !!

— والتسرع في الإنتاج يأتي كذلك في التأليف تماما كما يأتي في المقالة العابرة ، وتلك من عيوب الأدب حقا — !! في مقالة عن المؤتمر السابع للادباء ، بقلم الاستاذ عبد العزيز الربيع قرأت « لقد التقيت بنزار ، قبل أن يلقي قصيدته ربما بيوم أو يومين ، فقد أقلتنا سيارة واحدة . أعني نزارا والاستاذ القرشي وأنا .. حملته هو الى حيث ينزل في فندق « جلامش » الفخم وحملتنا الى حيث نزل على ضفاف دجله .. وكانت فرصة للحديث ، وتحدث نزار طويلا عن الكويت .. كان يحسب أن عباءتنا من الكويت .. فقد كنا في زينا الرسمي ، وعندما علم أننا من المملكة العربية السعودية ، قال : ان المملكة هي البلد العربي الوحيد الذي لم يزره .. » انتهى ما يهمنا نقله . وفي مقالة كتبها صالح جودت عن الشاعر « أبو القاسم الشابي » قال : حديثي هذا عن شاعر ساحر عرفه العالم الأدبي لأول مرة عام ١٩٣٣ م حين بعث لمجلة أبولو التي كانت تصدر في القاهرة ولا تنشر غير الشعر ودراساته ، بقصيدة عنوانها « صلوات في هيكल الحب » ما أن طلعت هذه القصيدة على الناس حتى هزتهم من أعماقهم ، وتلفت اليها أدباء العالم العربي ، وشعراؤه كبارا وصغارا ، وتساءلوا جميعا : من يكون أبو القاسم الشابي هذا وأين موطنه ؟ وما عمره ؟ ! وأين كانت هذه الشاعرية الضخمة مستخفية عن عيون الأدب حتى اليوم ؟ « انتهى .. هذا الحديث تعبير لصدى قصيدة واحدة ، اليس كذلك ؟ ! بينما ينتج الاستاذ القرشي ثمانية — أو تسعة — دواوين شعرية ، ويلتقى بشاعر معاصر فلا يعرفه ، أهو سعودي أم كويتي !! ولنتفق على أن الحالة الأدبية اليوم تختلف عنها بالامس ، اذ أن طابع « الحالة » أو المزاج أو النظرة العامة هذه الايام نظرة حربية ، فيما كانت النظرة أو المزاج العام آنذاك ، مزاجا أدبيا — بالدرجة الاولى — . ولكن الا تشفع ثمانية دواوين شعرية وأربعة كتب نثرية ، بتعريف أدب سعودي كالقرشي بشاعر معاصر كنزار قباني . لا شك انهم قدموا انفسهم لبعض ، ومع ذلك كان القباني يعتقد أن الاستاذ القرشي كويتي الجنسية ، مستدلا بالعباءة أيضا !! ماذا نفسر ذلك ؟ !

وأود الآن أن أقف قليلا لأوضح أن هذا لا يعني — بحال — نظرتي الذاتية لهذا

الشاعر — القباني — فلم أكن معجبا به ذات مرة !! وأعلم أن هذا لا ينال من قيمته الأدبية ، اذ هو ليس في حاجة الى اعجابي — لأن اعجابي من عدمه لا وزن له — بالنسبة لمثل نزار قباني — فله احتفظ بالتقدير دون الاعجاب — ذلك لا يهم الآن ، لأن . . « للناس فيما يعشقون مذاهب » ولأننا بصدد حكاية الاستاذ الربيع .

أجل !! لقد كانت هذه الحكاية طريفة للغاية في نظر البعض ، ولكنني لا أعتبرها كذلك اذ ليس من المنطق أن نزارا لا يقرأ لشعراء العربية ، ولأنها — أي الحكاية — لا توجي على أي حال بأن أدبنا يضاهي أو حتى يقف على قدم المساواة مع الآداب الأخرى ، وما ذلك الا لأن أفكارنا سريعة ومتلاحقة في غير ما عمق أو تعمق ! لأن ليس فيها ما نرى تأجيله الى الغد ، حتى ينضج ويتخمر في أذهاننا ، ويستكمل صورته ومضمونه ومقوماته التي تتيح له — امكانية — البروز والصمود ، ودواوين القرشي لا تخلو بحال من النفحات الممتازة ، والصور الرائعة المعبرة ، كنتاج ناضج من موهوب مجرب ، ولكن ماذا يكون صدى هذه الصور لو لم تكن متفرقة — ومبعثرة — بين دواوينه الثمانية ؟ ماذا لو كانت في ديوان واحد ؟ ألم يكن ذلك أحرى وأدعى للجودة والروعة ، لأن ديوانا واحدا يشمل — أو يحوي — تلك القطع الممتازة والصور المعبرة ، يعادل في انتشاره ولفت الأنظار اليه ، كلما يمكن أن تخلفه أو تحدته — من صدى — مثل هذه الدواوين الثمانية بين جمهور الأدباء والقراء ، ولم يكن في رأيي سيئا أن يصدر الشاعر أو الكاتب ديوانا أو كتابا عاديا للمرة الاولى . لأن ذلك كبطاقة تعريف به للقراء ، على أن ذلك ليس مناسبا لعشرين مرة . ولعل منكم الآن من يقول : ولكن الكاتب يتدرج بثمة مراحل هي من حسن الى أحسن ، ولا بد بالتالي أن يختلف آخر نتاجه عن أوله . وفي هذا من الصواب ما يجعله مقبولا ، ولكن ذلك يحدث لناشر الانتاج والطموح ! أما الآخر فربما استهوته الكثرة ، والشهرة فخلط « الغث بالسمين » وربما عاد — ان هو أفلس — لأوراق قديمة ، فضمها كآخر انتاج !

يتضح مما تقدم أن ليس له علاقة وثيقة بجوهر العنوان — أدب الشفرة — ، وأدب الشفرة هو ذلك اللون الذي لا يفقه سوى كاتبه ، ولكنه — أي ما تقدم — كخافذة أو مدخل يفضي بنا الى الموضوع اياه ، لأن ما تقدم يعنى التسرع وعدم تقدير النتائج الأدبية الآتية بعد النشر ، وان كان على نطاق أوسع من أدب الشفرة الذي لا يمثل أكثر من مقالات عابرة — أو كتيبات لا تترك مفهوما أو أثرا ما — لأننا نتعجل في نشر أفكارنا ، قبل نضوجها ، لأننا نود أن يخرج انتاجنا الى خارج الحدود — نود فحسب — فيما كان يجب أن نود ، ونعمل على ابداع الخصائص التي تجعل هذا الانتاج قابلا للتصدير ومقبولا لدى الأذواق الأدبية الأخرى ، وكان يجب أن لا نهتم ، بالكم أكثر من الكيف ، ولكن ذلك لم يكن ، وهو ما جعل كتبنا تدور في فلك مثلث !!

ان الضحالة في الانتاج الأدبي ، تنشأ بسبب الارتجال والتسرع في النشر . وهو ما اعتبرته كمدخل لهذا الحديث ، وما سيأتي بعده ، وأوردت بعض الأمثلة الدالة ، لأن لذلك — في رأيي — علاقة وثيقة بـ « أدب الشفرة » الذي يختلف مع ما ذكرت في الشكل — وربما في المضمون — ولكنهما يلتقيان في السبب .



والسبب هو الارتجال والتسرع وعدم تقدير النتائج الأدبية الآتية بعد النشر  
— كما تقدم — وأضيف هنا مع حرصنا على المظهر دون الجوهر !!

والحديث عن « أدب الشفرة » هذا لا ينتهي — أيها الاعزاء — لأنه دخیل غريب ،  
وغير ذي جدوى ، ولأن الكتابة تختلف كثيرا عن تلك الاعمال المسلية ، لأنها تعنى  
ذلك الاحساس المختلف ، الذي يحسه الكاتب ، ولأنها بالتالي نتيجة ، ترجمة ذلك  
الاحساس أو المعاناة ، في قوالب مناسبة ، بكلمات مهضومة ، وأفكار مقبولة نافعة ،  
— وليست المسألة الكتابية ترجمة احساس الكاتب على نحو ما فحسب — ونخطيء  
الفهم ، عندما نعتقد أن الكتابة إحدى الهوايات التي نمارسها أوقات فراغنا . وهي  
وان كانت تنشأ عن « هواية » أو رغبة في مبدئها ، الا انها تتحول الى طوفان من  
الجدية والاحترق ، حيث تطفئ على كل المهمات أو الهوايات أو الميول الأخرى ،  
في نفس عاشقها !!

وقبلا قلت : « ان الكاتب كالمصاب بمرض السكر ، لا يستطيع منع نفسه من  
تناول المأكولات والمشروبات والأطعمة بالسكر ، وهو وان تركها لبعض الوقت ، فانه  
لا يلبث أن يعود اليها ، وفي نفسه حنين وشوق ، وفي مخيلته أفكار وأفكار !!

ان الدخول في مجال الأدب ، أو الكتابة والصحافة ، يبدو سهلا ممتعا ، ولكن  
الخروج منها ليس الا اصعب تلك الأمور المعقدة ! على أن هذا لا يعنى بحال تجار  
الكلمة والتأليف ، وانما هو يعنى — فقط — الكاتب الحق ، الكاتب بشعوره وطبعه ،  
ومزاجه وفكره .

ان أيأ منا يستطيع أن يكون كاتباً — فقط — بعد سنوات من الممارسة والتجارب ،  
رغم أن الكتابة — كما تفهمون وقلت — اصعب تلك الأمور التي نميل اليها بشغف ،  
هذه حقيقة ! ولكنهم قليلون منا هم الذين يملكون المقدرة على اقتناع الآخرين ، بانهم  
يكتبون باحساس الكاتب « الحق » فيما يبقى الكتاب الآخرين — الأقل — منشئين  
وحفظة نصوص !! تماما كما يستطيع عالم النحو والصرف والعروض أن ينظم أبياتا  
يخال أنها من الشعر ، ولكن عندما تخلو مثل تلك الأبيات من الإبداع . وعندما تفقد  
الشعور « الحسي » الذي يتميز به الشاعر المطبوع ، وعندما تبدو عليها سمات  
الصنعة والتصنع ، فان كاتبها ليس أكثر من ناظم فحسب .

أجل !! نستطيع أن نكتب اذا . ولكن المحظوظين منا هم أولئك الذين يملكون  
المقومات السليمة لمعنى الكتابة .

ان الثقافة والادراك ، وقوة « الحجة » وسلامة المنطق ونزاهة الاداء ،  
ووضوح الأفكار ، متمثلة في سلاسة الاسلوب ومرونته في طريقة العرض ، مع واقعية  
في اعتناق المثل العليا والمبادئ السامية التي تسندها عقيدة صحيحة راسخة قوية ،  
هي — في نظري — أولى مقومات الكتابة ، التي تكفى لأقناع القاريء بأصالة الكاتب  
— أو كاتبها — ولأن الكتابة جزء من الأدب ، ولأن الأدب جزء من الفنون الجميلة ،

ولان الفنون الجميلة ليست جميلة ، في أشكالها فحسب ، وانما في كونها تخدم مشاعر الانسان ، و حياة الانسان ، فان الادب ، او الانتاج الادبي ، ليس انتاجا ادبيا ما لم يكن كذلك . ذلك ان الادب ، يجب ان يخدم الحياة بجانب خدمته لذاته أيضا ، لنقول ان الادب « للادب وللحياة معا » وان ذلك يفرض في هذا الادب ، ان يكون نافعا ، وانه لن يكون نافعا ما لم يكن واضحا ومفهوما من الجميع — ولدى الجميع — اذ ان الكاتب او الشاعر ، ليس كاتباً او شاعراً عندما يكتب لنفسه . يقول « امرسون » : ان الافصاح الواعي عن الفكر لفظاً او فعلاً لغاية ما ، هو الفن « وفي ايضاح اشمل يقول « سانت بيف » الكاتب الفرنسي — « ان الاديب هو الكاتب الذي يغنى العقل الانساني ويزيد من ثروته ، وهو الذي يعينه للسير قدماً ، وهو الذي يكشف حقيقة أدبية ويعرضها واضحة او ينفذ الى العاطفة الخالدة في قلب الانسان ، فينشرها في حين يظن الناس ان كل ما فيه مرتاد ومعروف ، وهو الذي يؤدي فكرته ، او ملاحظته او رايه في صورة دقيقة معقولة جميلة ، ومن يخاطب الناس جميعاً بأسلوبه الخاص ، ولكنه أسلوب الجميع ، أسلوب حديث وقديم معا ، وصالح لكل زمان ومكان » انتهى « ومن يخاطب الناس جميعاً بأسلوبه الخاص ، ولكنه أسلوب الجميع الخ » أجل ذلك هو الكاتب النافع ، وهو صديق القراء لأنه يخاطبهم عن كتب وقبلا فاني اعتذر للكاتب عبد الله عبد الرحمن جفري عما سيأتي الآن كشاهد ينطبق على مقتضى الحال ، وهو مما ينشره في الصفحة السابعة بعكاظ « يا عيوناً مشرعة على سفوح شوكيه .. على وهاد من الحنظل .. زمنا مات ، « وما زال الحنين لظى » ! عمرا يتناول على الأمانى « المتواضعة » ساعات من ليل تتوه .. يدوسها الذهول بأقدام جندي على ثلوج سيبيريا .. والعيون بيضا الرؤيه .. ناصعة الانتظار !! » لا اعتقد ان الكاتب يخاطب الناس جميعاً ، واستبعد ان يكون على وفاق مع القراء ! ومع اني اعترف بقصر فهمي لمعرفة ماذا يعني الا اني لا أشك بأن أحدا لا يقاسمني عدم الفهم هذا « عمرا يتناول على الأمانى المتواضعة » تلك جملة حسنة أضاعها الكاتب بين كلمات أقل اشراقا ووضوحا . انا لا أستطيع ان أحكم في ماذا يتحدث الكاتب ، ولكني أجرب مع مثل آخر ، وربما فهمنا منه شيئا معينا . وان جاءت طريقة التعبير عنه عكسية ومشلولة — « قالت وقد ارتفع الحاجب المقرون من الحجج عن عيني اتسعت — اتسعتا — عمقا في بحور ياقوت كأنها الذكاء » يتضح من السياق ان هناك حوارا دائرا ، ولكن متى كان الذكاء يشبه بحور ياقوت ، وما تكون هذه البحور الياقوتية التي كأنها الذكاء لا ادري افهمتم شيئا ؟ ! لعل الذكاء هنا يعني غير « الفطنة » لقد كتبت هذه الجمل بكلمات مقروءة ، ولكنها وردت في غير أماكنها المناسبة . وبدأت وكأنها غير واضحة المعاني ، والان فاني اكفى بهذين المثلين وأهمس : انها ليسا « أغمض » ما قرأت من هذا النوع فهناك بعض كتابات لا أظن ان كاتبها يفهمون ماذا تعني ، او يعنون بها ، لو أنهم عادوا لقراءتها بعد حين !! ثم اني أسعد بالأمكار الواضحة التي اقرؤها لكاتبتي هذين المثلين ، ولعل ذلك ما جعلني أنكر منهما هذا « الغموض » ! ان التعبير الواضح للبوح بشحنات الشعور الذي يحسه الكاتب تجاه امر أو أمور ما ، هو ما يحدد قدرته على الاصاله من عدمها ، والذي أفهمه ان الاسلوب

ليس — مجرد — كلمات تتخللها مجموعة من الفواصل والنقط وعلامات الاستفهام والتعجب أو التأثر فحسب ، ولكنه كما يقول « سوفيت » : الأسلوب كلمات مناسبة في مواضع مناسبة » المواضع المناسبة هي تلك الأكثر وضوحا بالنسبة لمقاصد الكلمات ، وما الكتابة الا أخذ وعطاء ، أخذ من الناس وعطاء للناس ، وما الكتابة الا عملية ايصال افكارنا الى الآخرين بأسلوب أكثر رصانة واجتذابا . وعندما يبدو « التعبير » مشلولا ، كذلك تكون الأفكار مشلولة أيضا .

في كتاب أصول النقد لمؤلفه أحمد الشايب « ماذا ما أردنا بعث عاطفة وتصوير احساس ، كان علينا أن لا نكتفي بمعاني الكلمات وانما نستعين برشاشتها وتأليفها ومسيقاها ومواقعها في التراكيب ، ومعانيها المجازية وغير ذلك كثيرا مما يعين على تصوير العاطفة ، فالمعاني الحرفية للكلمات نافعة في تحديد الأفكار وتحقيق الوضوح » انتهى . . ولعل أكثر ما يهمنا من هذا القول ، دعوته لتحديد الأفكار وتحقيق الوضوح .

لقد قرأت أن الأشياء لا روابط بينها في الرسوم « السريالية » فهل يعنى ما يكتب الآن من هذا النوع اتجاها سرياليا بحتا ؟ ! لقد قال أحد الظرفاء : ان هذه الكتابات لا تعنى كونها « سرياليزم » فحسب ولكنها « لخبطيزم » والآن الا تكون هذه الكتابات من الأدب الرمزي ، أو الرمزية في الأدب ؟ !

ان « أدب الشفرة » هذا نمط غريب ، وقد يتبادر الى ذهن قارئه أول وهلة ، انه من الأدب الرمزي ، أو الرمزية في الأدب ، ولكنه سرعان ما يدرك ويفهم أن ما يقرؤه ، أو قراه ، ليس شيئا من ذلك على الإطلاق ، وربما كان كاتبوه يعتقدونه من الأدب الرمزي أيضا ! لأنهم فعلا يرمزون الى أشياء في نفوسهم — يغلب — عليها الطابع أو النظرة أو التجربة الذاتية — من زوايا خاصة ، قد لا يفهمها أو ينظر منها سواهم . والأدب الرمزي ، أو الرمزية في الأدب ، فن قائم بذاته ، وقد وجد قبولا وأرضا صلبة ، وقف ولا يزال وسيبقى ثابتا عليها ، شأن كل جديد له صلة بالنفس البشرية المعاصرة ، ومع ذلك فانه لم يعم الجميع ، ولم يطغى بعد على الطابع « الكلاسيكي » في الأدب ، وفي محيطنا الشرقي ربما بقى كحال الشعر الحر ومصارعته « المضحكة » مع الشعر المقفى ؟ ! :

ان الأدب الرمزي — أقول هذا وأنا لا أميل اليه ، لا يتحدث عن أشياء عديمة الوجود . وان أتخذ من زوايا الكلمات أشكالا « سريالية » مبهمة وقابلة للتحويل والتأويل ، الا انه جلى الفكرة ، نجد ذلك واضحا في القصيدة أو المسرحية الرمزية ، والمسرحية أو القصيدة الرمزية بلا فكرة تبدو ذلك العمل المستهجن . بل لا تبدو شيئا ذا أهمية أو جدوى . وعندما تتناول المسرحية ، قطاعا من الحياة ، أو جزءا من الزمن ، فانها لا تقتصر على مساحة من الارض ، وتبعاً لذلك يتعين على قارئها ، أن يكون ملما بأشياء والوان شتى من الثقافة الواسعة ! يقول « ماري م كولم » — بضم اللام — عن أصحاب هذا اللون من الأدب : « فكأنهم يقولون للقاريء : لا يتألف ذهنك من الأفكار المتوارثة والعواطف التي يشترك فيها معظم البشر فحسب ، ولا من التجارب المادية

العامة المشتركة فحسب ، بل انه يتألف من الكتب التي قرأتها والموسيقى التي سمعتها والصور التي رأيته ، والأقطار التي طوفت فيها ، والتاريخ الذي فقهته ، انه يتألف من هذه كلها ، بالإضافة الى ما لقنته من معتقدات ، وما ورثته أو تلقينته عن بيئتك من جهاز عصبي ، ان شخصيتك في أي لحظة من لحظات الوجود تتألف من كل شيء تعرض له وعيك » . وهكذا يساعدنا هذا القول على أن كتابة الأدب الرمزي وفهمه أيضا عملا ليس بمقدورنا أن نلم به من أول تجربة أو عاشرها ، أو نكتبه ببساطة التعبير عن أشيائنا الخاصة ، كتجارينا في الحب ، أو الحياة ، دون أن نكون في مستوى يسمح لنا بذلك ! ثم أن كاتب الأدب الرمزي ليس بمقدوره أن يدخل أفكاره ومشاعره في رأس القارئ ، بأسلوب أو كلمات رمزية بحته — كخالص الذهب — وعندما تكون المسرحية أو القصيدة رمزية بحته ، فانها لا تحسب عندئذ كنتاج يخدم الانسانية لأن رابطها بالحياة غير موجود ، اذ يكون كاتبها بذلك قد « شطب » أهم مقوماتها وهي حركة المشاعر المعبرة عن خوالج النفس ، وتخلو المشاعر المكتوبة من الحركة عندما تكتب بلغة نفهمها ، ولكن بكلمات نجهل ماذا تعنى ! لأن الكلمة تحدد المعنى ، وليس المعنى يحدد الكلمة سلفا !! — وفي الأوردية ترسم الكلمة بالحرف العربي — ومع ذلك نقرأ ولا نفهم ماذا تعنى !!

### أهو جديد

ان الدقيقة الأخيرة من الساعة هي بقيتها ، والساعة الأخيرة من اليوم هي بقيته ، وآخر يوم من الشهر بقيته الخ . ثم ان فكرة اليوم تتبلور غدا أو بعد غد ، وقد تتأخر في الاتيان بنتائجها ، وانما يكون ذلك حسبما تقتضيه الظروف المحيطة والعوامل أو الدوافع ، وبالتالي المثابرة في انجاز هذه الفكرة ، أو الخمول في تأخيرها . وهكذا لا شيء يستجد في لحظة ما . لأن الحياة مجموعة من التراكمات والترسبات القديمة والحديثة ، الحياة عطاء مستمر ، وجديد يقدم . ولا شيء يندثر من ذلك ، وما الجديد الا بقية قديم . وغزو الفضاء أو القمر لم يكن ذلك الأمر المفاجيء ولكن ذلك نتيجة أفكار جديدة ، استقت روافدها من معين أفكار ودراسات ونظريات تراكمية قديمة ، وذات الأمر ينطبق في لحظة ما على زراعة القلوب والأعمال الجليلة الاخرى !! (1)

ان جديدا يطرأ كل يوم هو جديد في مظهره ، وليس في جوهره . ومهما بلغت الاشياء في تكاملها ، فانها لا تأخذ شكلها النهائي ، ولا تكاملاتها القصوى ! وعندما تبلغ الاشياء أشكالها النهائية من الوجهة « التقنية » فانها تأخذ في التراجع — التوقف — ليس الى الخلف ، ولكن أمام المنجزات المشابهة لها ، والتي تفوقها هولا وضخامة ، تماما كنسبة الطائرة الى الصاروخ ، والى المركبة الفضائية « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

بالتأكيد : ان الاشياء الجديدة لا تقوم دونما جذور قديمة ، على ان الجديد قد

---

(1) التراكم الحضاري دراسة معدة للكاتب .

يصل الى درجة من التكامل يحدث معها ، أن ينفصل تماما عن قديمه ويتخذ اشكالا تصبح المقارنة معها ضربا من الخيال ، فنعتقد عندئذ ان هذا الجديد لا قديم له .. ولعل هذا ينطبق على المخترعات العلمية — الآليات — أكثر من الاتجاهات الفلسفية ، أو الاستنتاجات الفكرية — ان جازت التسمية — كاكشاف الجاذبية .

ان ماضي الحياة مصدر لحاضرها ، والاديب الذي لا يستقى معينه من الحياة لا يخدم بنتاجه الانسانية . ثم انه لا يمكن بحال أن تأتي بجديد مطلق !! اذ لا بد للجديد من صلة بقديم ما ، في كتاب « اليس ماريوت » — الجدات العشر — جاء في سياق الحوار الدائر بين اثنين « لا بد لك من أشياء جديدة ، لا بد لك من ينابيع جديدة لثماء العشب . ولكن العشب ينمو في الارض القديمة ، فلا بد لك من أشياء قديمة تمتد فيها جذور الأشياء الجديدة . هذا هو السبب في ان بعض الناس يحب أن يستمر بالقديم . وبعضهم يحب أن يدفع بالجديد الى الامام . كلاهما محق ، كلاهما لا بد له من ذلك » وعلى هذا القول يضيف « ج. دونالد أدامز » بقوله : « ولعله كان بوسعه أن يضيف « وبعضنا يستطيع أن يفعل الاثنين معا » .

اجل !! نستطيع أن نفعل ذلك لأن الرمزية مزيجا من عطاء الحياة والتصورات الذاتية — لما يمكن أن يكون هو الأفضل أبد — « وأدب الشفرة » أيضا لا يخلو من عطاء الحياة ، ولكنه ذلك الاحساس الذاتي البحت ، في نفسية كاتبه ، ذلك الذي ينتج بالتالي عطاء ذاتيا بحتا كذلك — انه لا يلتزم ، بل لا يحتمل الاضافات الجديدة أو الآتية من خارج الأنا — ان مثل هذا الكاتب يحس ما يهيم وحده . ويعبر عنه لنفسه وحده فحسب !! فيما يختلف العطاء والاحساس في الرمزية الحقة . اذ تستوحي الفكرة عن احساس اكبر واشمل من احساس الذاتية المفردة ، فيكون العطاء أو الانتاج من ثم ترجمة عامة لفكرة محسوسة جماعيا . على ان الرمزية ذاتها لم تسلم كاتجاه أدبي بارز ، اذ لا يزال هناك من يرى عدم مقدرتها على إيصال الفكرة الى ذهن القارئ واضحة غير مشوهة — وفي ذلك كثير من الصواب — كما لا يزال هناك من يبدي استيائه من الطريقة التي نظم بها « ت. س. اليوت » ومن هم على طريقته بالنسبة للشعر و « لجميس جويس » و « فرجينيا وولف » وكثيرون بالنسبة للاغراق الرمزي في الرواية وهكذا يجب أن أقول في نهاية هذا الحديث أن « أدب الشفرة » هذا ليس جديدا مفاجئا ، ولكن قديمه ذلك المفهوم الخاطيء لمعنى الرمزية في الادب . واضيف أيضا انه لا جديد في لحظة ما — بالنسبة للفكر الانساني — ولكن لا تعمق بلا فهم ولا فهم لابعاد الطيوف . وسلفا قلت : لا شيء كالخيال في المرأة !! والاسلوب مرآة تعكس مفهوم الكاتب !



## نقد لديوان « أبيات غزل »

بقلم : فوزية البكر

✱ ✱ يعد النقد الأدبي مفتاحا يمكن عن طريقه إبراز قيمته الفنية والموضوعية وتحديد خصائصه الشعرية والتعبيرية ... وتسجيل ما أضافه الى تراث الامة التي ظهر فيها ... والتراث الانساني بشكل عام .

والنقد فى بلادنا كان مرافقا للمظاهر الأدبية التى يخدمها يصحو حين تصحو ... ويغفو حين تنام وتكسل ... يتناولها ان هى أنتجت ويجفوها ان آثرت السلامة !

وقد كان النقد الأدبى فى بلادنا ولا زال وقفا على الرجال ودون النساء تقريبا ، ليس لأن الرجل أراد ذلك أو عمل له ... ولكن لأن المرأة لم تكن مؤهلة من الناحية الثقافية والأدبية من جهة ولأنها لم تحاول خوض هذا الغمار من جهة أخرى .

غير ان الزمن الحاضر يشهد يقظة ليست بسيطة ، ستخلق لا شك مناخا ثقافيا منتجا ، ساعدنى على أن ألج بنفسى فى « محاولة » نقدية لعمل أدبى .

تلك هى تناولى ديوان د. غازى القصيبي « أبيات غزل » « دار العلوم » ببعض الملاحظات اضافة الى ما ذكره أخوة كرام تناولوا هذا الديوان بالنقد والملاحظة .

والذى يمكن أن أقول فى البداية أنه يمكن تقسيم هذا الديوان الى جزأين .

أولهما تلك القصائد التى نشرت حتى عام ١٩٦٠ م. ثم الآخر الباقيات اللواتى نشرت حتى عام ١٩٧٠ م.

وقصائد الجزء الأول لا يمكن تناولها على أنها تمثل مرحلة جديدة فى الحياة الشعرية للشاعر لجرد أنها لم تنشر الا فى عام ١٩٧٦ م. ذلك أنها بعض مما أنتجه الشاعر بعد عام ١٩٦٦ م. « أى بعد تلك القصائد » قد نشرت فى ديوانه معركة بلا راية سنة ١٩٧١ م. دار الكتب فى بيروت .

وبذا يتضح سبب ضعف بعض تلك القصائد اذ هى تعتبر متقدمة بالنسبة للشاعر أغفلها لفترة ثم أظهرها ليتم ما بين يدينا ، ولتكون جزءا تابعا لغيره فى سياق شعره تتضح فيها خطوطه ومستويات تقدمه .

والشاعر بشكل عام ينهج أسلوب التجديد فى الشعر العربى الحديث رغم عدم اتضاح مناهج هذا الأسلوب وسماته المميزة نتيجة للمناخ العربى العام الملئ بتأثيرات ثقافية لا حصر لها وبنقلات سياسية مخككة . وان تمكن من .. اجادة استخدام هذا الأسلوب فى كثير من قصائد ديوانه معركة بلا راية وبعض من تلك التى ذكرت فى ديوان « أبيات غزل » .

يقول العقاد فى كتابه الفصول « الكلام العاطل ليس أدبا وانما الذى يستحق ذلك هو الذى يكسو ثوبا من الجمال والجلال » .

ويقول شبلى « للغة الشعراء لون خاص وصدى موسيقى يوافق الصوت وبدونه لا يكون الشعر » ، وعلى هذا وغيره مما اتفق عليه كثير من النقاد وساقيس بعضا من القصائد والأبيات فى هذا الديوان والذى أشهد أنى أصبت بالذهول حين قرأته فمن استطاع أن ينفث الشوق ويفزو اللهفة فى قصائده السابقة لا يمكن أن ينحدر عند الغزل فيصبح بهذه الرداءة ! !

ان من قدر أن يسكب لنا قصيدة « فى وداعتها » وقصيدة « معركة بلا راية » لا يمكن أن تصدر له وعنه قصيدة كالصيف والتي لا تعدو أن تكون محاولات تلميذ أعياء شيطان الشعر فلم يملك الا أن يخط بضع كلمات عادية تفقد حرارة المعاناة التى عرف بها الشاعر وينقصها جرسه الموسيقى المميز .

يقول فيها :

مر بنا الخريف والشتاء  
لم نحس بالخريف والشتاء  
كنا نعيش الربيع  
وعندما جاء الربيع  
مر علينا مسرعا ... ولم يقف  
لم يبق الا الصيف  
فهل يضيع الصيف ؟ ! !

\* \* فهذه وان حملت بمعنى العاطفة الا انها لا يمكن أن تعد شعرا اللهم الا أن أصررنا نحن العرب كعادتنا على التأثر باللقاب والنعوت ومنحنا الشاعر القصيبي وساما على هذه الكلمات لجرد أنه يملك تقبلا كبيرا فى مختلف الاوساط ويتحلى بمكانة اجتماعية جيدة ؟ !

وفى قصيدة أين الحب يقول :

الحب . . .  
أين الحب . . .  
لفظ أجوف فقد المعانى  
كتولنا ... فلان .... أن فلان  
... مات وانتهى »

\* \* ليست مهمة الشعر أن يعطينا حقائق جامدة أو رؤى فلسفية وانما أن يسكب كل هذا فى قالب موح مثير للطاقت الشعورية والانفعالية الوجدانية فى النفوس ، والشاعر هو من يمتلك القدرة على التقاط مشاعر الناس عامة كالرادار



تباها ... اللهم الا أن هذا يعنى بالالتقاط الموجات الصوتية وخلافه مما وضح من  
أجله ، بينما يلتقط الشاعر ما تعجز عنه تلك الأجهزة .. المادية من التقاطه ...  
روح الانسان ووجدانه ... أحاسيسه ومشاعره ... ليصور كل ذلك لنا في قالب  
يحقق الوجود الكامل لمن يقرأه ، بحيث يحس معه أنه تصوير فعلى عن ذاته .  
يقول الشاعر فى نفس المعنى فى ديوان معركة بلا راية بأسلوب بديع ص ١٧٠ :

رجعت اليك محروما

لأن الكون أضلاع

بلا قلب

لأن الحب الفاظ

مجردة من الحب

رجعت اليك مهزوما

لأنى خضت معركة الحياة

بسياف احساسى

وواضح ما بين القولين من بون شواء فى الطاقة الشعورية أو الاسلوب  
التعبيرى ولعل ذلك عائد الى أن الشاعر كتب قصيدة ابن الحب عام ٥٩ م. بينما  
كتب الأخرى عام ٦٦ م.

وفى قصيدة الهوى يقول :

الهوى لا يسلب الانسان

شيئا

من شقائه

من ثوائى يأسه

من حقه

من كبرائه

فيما يقول من قصيدة أخرى فى ديوان معركة بلا راية : —

من جرب الحب لم يقدر على حسد

من عانق الحب ... لم يحقد على أحد

وبغض النظر عن رأى الكثرة من الشعراء والأدباء من القدامى والمحدثين  
الذين تنضخ قصائدهم وأحاديثهم بقدرة الحب الخارقة على تخلص النفس من  
أحقادها وان لم يقضى على كبريائها يمكن أرجاع ما بين مغزاة الشاعر من ...  
اختلاف الى اللحظة الشعورية التى انطقته القصيدة والى الطبيعة الانسانية المتناقضة.

ولكننا أيضا لا نغفل ان تلك القصيدة ككثير من قصائد الديوان تتميز بالبساطة  
التامة والوضوح فى الفكرة الى حد السذاجة أحيانا بحيث لا يحتاج معه القارئ  
الى ان يعمل فكره أو يجهد نفسه ، رغم أن هذا ما ينتظر من أى كاتب خاصة فى  
المراحل الحالية التى تمر بها والتى نقصت عن الكتابة صورة المفكر الخلاق المحمل  
برسالة عظيمة يمكن أن تهز الأمم .

وعلى الرغم من ذلك فقد تميزت القصيدة بقوة الالفاظ الموحية المؤثرة رغم خلوها من الخيالات والتأويلات التى تضى على الشعر جمالا لا يخفى على الشاعر .

✽ ✽ وفى قصيدة على الرصيف يبدو الشاعر كما لو عاوده اعباؤه الشعرى فجاءت قصيدة هزيلة تمثل مرحلة التلمذة فى حياة الشاعر وتنبيه عن سذاجة لا تتوقها فيه ولعل ما يخفف وقعها فيه انها من قصائد الجزء الأول !

وقصيدة رسالة تصلح بالتأثير النزارى وان كان الشاعر قد انجباها قبل أن يطبع نزار ديوانه « حبيبى » الذى يحوى قصائد رسائل محترقة وفيها شيء من القصيدة المذكورة .

وقصائد ... سؤال ، ومثل صحرائى الحزن ، أين الحب ، كائى خلقت لمسح الدموع ، يعانق فيها الشاعر بعضا من اوجاع « توماس هاردى » ... فى تصوره عن نظم الكره التى يمكن أن تؤدى فى الفناء ، الا أن شاعرنا أرحب صدرا وأقل قنوطا ويأسا وأوثق بمقدرته على معالجة آهات الآخرين .

وبتصفح الديوان نلتقط واحدة من أجمل القصائد التى وردت فيه وهى قصيدة « زعموا » حيث تحس فيها دفقا عاطفيا قويا وحرارة عرف بها الشاعر فى كثير من ما يكتب فجاءت صادقة فى التعبير عن ذات نفسه وان كانت فى حدوده القريبة .. وتأتيك حيننا كئيب يفيض رقة وعذوبة ...

حملتك فى فأت الدماء

وأنت وراء الضلوع الوجيب

وأنت حروفى اذا ما نطقت

وأنت سكوتى الطويل الكئيب

قدرة فذة على اختيار اللفظ المناسب فى المكان المناسب وتجربة شعورية صاغها لنا الشاعر فى صورة حية قريبة ، استطاعت نقلنا إلى جزء من الكل الشامل المحيط، فجاءت كأكمل وأجمل ما يكون .

وقد ذكر أبو عبد الرحمن الظاهرى فى « مجلة اليمامة » العدد ٥٠٨ ص ٨١ بيت الدكتور القصيبى :

جمعت الاله فى شفاهى والقى الليل فى شعلتى ظلال الغروب

فظلال الغروب عند الدكتور « هذا قول أبو عبد الرحمن » أتباعا للمعانى العربية القديمة رمز ، لخريف العمر ، قال عبد الرحمن :

ولكنى أفضل معاندة التشبيهات العربية القديمة فى هذا الباب لأن العصر الحديث عرف فضل المساء وأنه رسم الأحلام والبهجة والشفافية ولهذا أقول أن المساء ربيع العمر لا خريفه بالنسبة للمتممين ... ولا أحسب أن هذا يغرب من بال الدكتور ولأنه يقول :

وافرحى بالمساء يقطر أحلاما

وسناء واحتيات وورودا .... الخ

« انتهى »

وأقول هذا ان الشاعر انما يكتب تبعا للظروف المحيطة به ... وتبعا لما يعتريه من عوارض نفسية تتغير فى ناظرية كثير من قيم المعانى التى تخضع للحكم النسبى... ومن ثم لا يمكن الزامه بمعنى دون غيره فهو عرضة كغيره من الناس الى ظروف الحياة المتغيرة التى يتبعها اختلاف فى الحكم على الامور .. والأشياء .

وبصفة عامة تميز الديوان بالبساطة والوضوح والسلامة وان خلا من التأويلات والكنائيات المحببة الى الشعر العربى ، كما خلا من الاسلوب الفجائى وان حوى من التعليل ما اضاف جمالا ، كما فى قصيدته « مغرورة » وان لم يكن معناها مناسبا للحياة الحاضرة .

\*\*\* وبعد ... ارانى قد اوضحت ما اريد قوله ... ولا اعتقد أن د. القصيبى يغضب من النقد .

فمن آمن بالنزاهة الأدبية والرغبة فى قول الحق قال دون مواربة رغم انسى لا اعرف د. غازى وان كنت معجبة به كغيرى ... ولا يعنى هذا تليينا لما سبق ، فما اراه قوله فقط دون اى شىء آخر ولكن الأجواء الأدبية قد لا تألف مثل هذا خاصة حين يصدر من احدى الكاتبات .



THE UNIVERSITY OF CHICAGO

## الأدب السعودي الحديث . . في الميزان

بقلم الادبية : نسيم الشهيل

تاريخنا العربي الاسلامي ... سطر لنا صفحات المجد والبطولات الخالدة ...  
وتاريخنا الحضارى الاسلامي ... شهد لنا بأننا كنا السابقين في ارساء علوم الطب  
والرياضيات والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم ... وتاريخ المرأة في الاسلام ...  
شهد لها بمكانة مشرفة رفيعة ، فهي المحاربة المجاهدة ... وهي البليغة الفصيحة  
لست هنا في صدد الحديث عن تاريخنا وامجادنا وبطولاتنا ومشاهير نسائنا فقد كفاني  
ذلك الكتاب والادباء والصحافة ... وكان العقول العربية قد نضب معينها من  
الافكار والبحوث .. وتضاءلت قدرتها على الابداع والابتكار .. فأصبح موضوع  
التغني بالامجاد الغابرة قاسما مشتركا بين الجميع . ولئن دلت تلك الظاهرة على  
شيء فانما تدل على ثقة مزعزعة بالنفوس .. نالتفاخر بالماضي عادة جاهلية قطع  
دابرها الاسلام .. واحل محلها ثقة راسخة العمق تستقي متانتها وأصولها من الايمان  
بعقيدة سمت بالعقول العربية الى حد الكمال ! والآن ... ماذا عن تاريخ الادب  
العربي في جزيرة العرب ؟ ... انه الادب العريق في أصلاته وخلوده ! فماذا اذن  
عن تاريخ الادب السعودي الحديث ؟ بكل أسى تقول : لا بد لنا من الانسياق في  
نفس المسلك الذى سايه الكتاب والمؤلفون الصحفيون .. فلم يظهر في ساحتنا  
من نتغنى بامجاد عطائهم وانتاجهم ... فلا بد اذن من الرجوع القهقري مئات السنين  
لنرفع عقيدتنا ونقول : في يوم من الايام ... وقف على أطلالنا اعظم الرجال ...  
ووصف نجومنا وسماينا افسح الادباء ... وتغزل بجيالاتنا ارق الشعراء ...  
وخلد مثلنا وشجاعتنا ابلغ الفصحاء ! ... في يوم من الايام ترجم أسلافنا ثقافات  
العالم ، فتلاقح فكرنا مع افكار الشعوب ... فأخذنا عنها واعطيناها ونقدناها  
فاكتسبنا ليونة الاخذ والعطاء ... ثم البسنا معارفنا ثوب الأصالة العربية الخالصة ...  
في يوم من الايام كنا مدرسة فكرية حضارية متكاملة أصلها في الارض ، وفروعها  
في السماء ... فأين نقف الآن ؟ . . .

اين ادباؤنا وشعراؤنا ومؤلفونا ومترجمونا ؟ اين شاعرنا ومحاربنا وفصيحنا  
وملهمنا ؟ بالأسس كان ضياء نجومنا يفتق ظلام من عميت أبصارهم وكانت صحراؤنا  
برمالها وتلالها وأطلالها تفجر المواهب وتطلق المشاعر فما بالنا اليوم ؟؟ ..

ان ظاهرة القحط والجذب في حقل الادب في بلادنا لظاهرة مفاجئة اذا ما  
قورنت بخصوصية العطاء الادبي لتلك الديار ... وبما ان قصة العظمة والأصالة للادب  
العربي قديمة قدم التاريخ وغير خافية على أحد ... فان هذه الحالة من الاعسار  
لتستلفت النظر ، وتثير التساؤل وتستدعي وقفة كبرى . واذا كان معظم ادبائنا  
ومفكرنا يعززون تخلفنا في مجال القصة والرواية والمسرحية الى كون هذه الفنون

الأدبية مستحدثة ولا أصول لها في الأدب العربي ، ويرجعون تفوق البلدان العربية الأخرى علينا في هذا المجال الى سبقهم وتقدمهم علينا بالانفتاح على الثقافات الأجنبية ... وإذا كان في هذا الدفاع حجة ملؤها الصحة والافتناع .... فما هو تفسير تخلفنا الواضح في مجال احياء التراث العربي القديم ... ؟ فطلابنا في الجامعات يقرر عليهم الرجوع الى أكداس من الكتب كمراجع لدراساتهم وأبحاثهم ، ولكن يكاد يكون من النادر أن تعثر بين أسماء المؤلفين على اسم واحد أو اثنين من الكتاب السعوديين . . . . !

ولئن كان رواد الأدب السعودي في العصر الحديث أكثر نشاطا وعطاءا في مجال الشعر والمقالة ، الا أن ذلك لا يمنع اعترافنا مجددا بأن عطاءنا في هذا المجال إذا ما قورن بعطاء الدول العربية الشقيقة عطاء هزيل كشجرة أصابها المن فغريت الا من بعض وريقات متناثرة على أغصانها هنا وهناك ... أما اذا ما قورن بتاريخ هذه الأمة وعراقة هذه الديار بالفصاحة والبلاغة والعطاء لساقتنا النسبة الى نتائج غاية في السلبية والجمود . ولئن شعرنا برغبة في أن نشير الى حاملي النهضة الفكرية والأدبية في البلاد بيد اللوم والعتب الا اننا لا زلنا نأمل تعويضهم ما أصابنا من التقصير والعقوق تجاه مكتبة الأدب العربي ونتلطف لظهور مواهب جديدة .. تملأ الفراغ وتريح عيب القصور في الانتاج والتأليف هذا ... ولئن بدت ظواهر للانتعاش الأدبي السريع في السنوات الأخيرة الا أن ذلك لا يمنع مناقشة الأسباب والظروف التي لازمت حركة الأدب السعودي الحديث فكان لها أثر سلبي في حركة نموه وتطوره .

### **أولا — تدني منزلة الشعر والأدب في العصر الحديث :**

فقد كان الشاعر في الجاهلية الناطق الرسمي بلسان القبيلة ، تحدد قصائده المعايير الاجتماعية والسياسية والأخلاقية ، وكان العرب يعيشون الفصاحة والبلاغة ، ويتذوقونها باحساس فني أصيل ففتح الخلفاء والولاة أبوابهم لأهل العلم والأدب وأجزلوا لهم العطاء وأولوهم المنازل الرفيعة والاحترام والتقدير .. الا أن هذه المنزلة الرفيعة بدأت بالانحسار التدريجي حتى بلغت أسوأ مراتبها في العصر ....

ولشرح هذا المعنى نستشهد بما قاله الدكتور غازي القصيبي في محاضرة القاها في نادي الطائف الأدبي بتاريخ ٢٧/٨/١٣٩٦ هـ :

« ان فترات التاريخ التي تلت الجاهلية شهدت انحسارا تدريجيا في مجد الشعر ودوره السياسي والاجتماعي ويكفي أن نتحدث عن أربعة أسباب ساهمت في عملية الانحسار :

١ — كان الشعر في الجاهلية الفن الوحيد ، ثم ما لبث أن نافسته فنون أدبية أخرى كالخطابة والكتابة بأنواعها ... ثم ظهرت علوم جديدة لم تكن معروفة من قبل كالعلوم الشرعية وعلوم النحو والرياضيات والطب والفلك والأحياء .

٢ — كان أهم سبب لانتشار الشعر هو سهولة حفظه في مجتمع لا يحسن القراءة والكتابة ولقد كان من الطبيعي أن يؤدي انتشار الكتابة الى امكان تداول النثر بسهولة مما أفقد الشعر ميزة كبرى .

٣ — أدى تطور الحضارة وتعدد المجتمع الى أن يفقد الشعر تأثيره السحري على العقل العربي ، ولا اظن أحدا يشك في أن انسان العصر العباسي الذي عرف قدرا كبيرا من الثقافة وعاش في بيئة فكرية متطورة ، ما كان يمكن أن يستجيب للشعر بنفس الاندفاع والحماس الذي عرفه انسان العصر الجاهلي الذي كان ينال ويصحو ويسير على ايقاع الشعر .

٤ — أدى انهماك معظم الشعراء في المديح ، وتحويلهم الى اجراء يقولون ما لا يعنون الى فقدهم بعض احترام الناس وبالتالي بعض قدرتهم على التأثير بالناس وبقدوم عصور الانحطاط فقد الشعر محتواه الفني ومضمونه الاجتماعي ، ورغم أن بداية القرن العشرين شهدت محاولات من الشعراء العرب للنهوض بالشعر واعطائه بعدا اجتماعيا سياسيا ... الا أنني لا أجد أى دليل يقتعني بأن هذه القصائد كانت رافدا من روافد العمل السياسي العربي ، واستطيع القول ، اننا اذا استعرضنا المؤثرات الفعالة في حياة المجتمع العربي خلال السبعين سنة الماضية .. لم نستطع ... رغم ما نكته للشعر من محبة أن نعتبره أحد هذه المؤثرات . ولعل أحدا لا يجادل بأن كتاب المقالة السياسية والصحفيين والعاملين في أجهزة الاعلام الأخرى ، لعبوا دورا يفوق بكثير دور الشعراء في رسم خارطة العقل العربي » .

### **ثانيا — تأخر أدبائنا عن الاتصال بالثقافات الأجنبية :**

وبتعبير آخر خمود حركة الترجمة ، وعدم دراسة اللغات الأخرى ، مما سبب في تأخر اطلاقنا على الآداب العالمية الأخرى ... ! فماذا كانت نتيجة ذلك على أدبنا؟ ... اذا رجعنا الى الفكر العربي في عصر صدر الاسلام نجد انه كان يستقي علومه من رافدين : **جاهلي** واعظم مظاهره الشعر وانساب القبائل ، و**اسلامي** يبدأ في القرآن الكريم والحديث وسيرة الرسول (ص) وغزواته ... ثم الفتوح الاسلامية واحداثها ... ! وما أن أتى عصر بني أمية والعباس من بعده حتى ظهر رافد ثالث **أجنبي** وهو جدول الثقافة التي وردت على العرب من اختلاطهم بالأمم الأخرى بعد الفتوحات الاسلامية الكبرى . واندفع العرب يبحثون وينقبون عما لدى هذه الأمم التي سبقتهم بالحضارة .. يبحثون عن المعارف الجديدة سواء أكانت تطبيقية مثل تخطيط المدن والبناء والزراعة والرى وطرق جباية الخراج وضبط الدواوين وانشاء الأساطيل ... ! او المعارف النظرية التي تمثلت في ثقافات الأمم الأخرى كالفارسية واليونانية والهندية .... وابتدأت حركة الترجمة الكبرى ... فانقلبت الكوز الفكرية الى الأمة العربية ... وعرف العرب الفلسفة اليونانية ... والمنطق ... واحبوا الجدل ... وكانوا ناشرين لدينهم ... يجادلون النصارى وأصحاب الملل الأخرى ... وبرعوا باستظهار الأدلة والبراهين ... وظهرت آثار تلك الثقافات والعلوم

الجديدة في شعرهم ونثرهم ... فكانت حركة الترجمة هذه وسيطا اضاف للفكر العربي الكثير من الدعم الذى زاد في اثرائه وتطوره رغم محافظته على اصلته العربية والاسلامية !

أما في العصر الحديث ... فيبدو لنا أن دول العالم العربي قد تقدمت علينا في مجال استيراد الفنون الأدبية الحديثة الغربية بمختلف القوالب والاتجاهات فهذه مثلا مصر وبلاد الشام .. فقد تفوقتا في مجال القصة والرواية والمسرحية ، بسبب اتصالهما المباشر بمواطن هذه الفنون الحديثة ، عن طريق الاستعمار الغربي الذى نشر ثقافته ومدارسه في هذه المناطق ... ثم ما لبث أن ظهرت حركة الترجمة والتعريب لهذه الثقافات الواردة على مبدأ ابن خلدون القائل « يتشبه المغلوب بالغالب في ملبسه ومأكله ومركبه وسلاحه » ! أما بالنسبة للجزيرة العربية .. فلم تكن متأخرة عن غيرها بالاطلاع على الآداب الغربية فحسب ، بل كما قال الدكتور منصور الحازمي في إحدى محاضراته بجامعة الرياض عن الأدب العربي الحديث عام ٩٤/٩٥ هـ : « لم يكن اتصال أدبائنا بالحضارة الفكرية الغربية متأخرا وحسب ، ولم يكن في معظمه اتصالا مباشرا ، بل كان عن طريق الوسيط اللبناني أو المصري أو المهجري ، وتلك حقيقة تكشف لنا المسار الذى اتجه اليه الأدب في بلادنا منذ بداية نهضته في الربع الأول من هذا القرن وحتى الآن ... وهو مسار ترفده مراكز الثقافة العربية المجاورة بكل ما فيها من عناصر متباينة ومزيج مركب من القديم والجديد » .

من هذه النظرة الخاطفة يتبين لنا أن الروافد الفكرية تدفع بالثقافات الى الحركة والتطور والنمو ... ولسنا هنا ندعو لأن فكرنا نقليا مقلدا ... كلا ... انما نعتبر في تلاحح المعرفة والثقافة المتنوعة حافزا للتطور والتحرك نحو التكامل . فقد استوردت أمريكا ركائز نهضتها الصناعية من مراكز القوة في أوروبا ثم ما لبثت أن طورتها حتى تفوقت بها على العالم كله ... واستوردت اليابان الحضارة الأمريكية ولا زالت دائبة بالعمل المتواصل .. حتى غدت منافسة لها ! ...

### ثالثا — الوضع الاقتصادي والدعوة العلمية :

كلنا نعلم أن الحركة الإنمائية التصاعدية في هذه البلاد ارتبط ظهورها بحدثين :

١ — توحيد البلاد وتأسيس الحكم الرسمي للمملكة العربية السعودية من قبل المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

٢ — اكتشاف الثروة البترولية بعد أن كانت المنطقة تعاني من قحط الموارد بكل ما تحمل هذه الكلمة من أصول وفروع ... .

وخلال تلك الفترة تضخم عبء العمل بصورة تصاعدية مستمرة ... ووجد المسؤولون أنفسهم وقد حملوا عبئا هائلا من برامج التنمية التي يجب تنفيذها في المنطقة بصورة سريعة ... ومما يزيد العبء ثقلًا كوننا بدانا بالتنمية والتطوير



في القرن العشرين ، الذي كانت سمته التفوق العلمي الهائل ، وطابعه السرعة المذهلة في تحقيق المنجزات العلمية وتطويرها في العالم ... فكان علينا أن نركض ونلته لنلحق بالركب الذي تأخرنا عن مسيرته ... وانطلاقاً من هذا الوضع ظهرت الدعوة الى التركيز على الاختصاصات العلمية البحتة ... فالوزارات التي امتلأت رفوفها بخطط التنمية ومشاريع فتح الطرق وانشاء المطارات وتوسعة الموانئ وبرامج الاسكان وتطوير الجيش وتحلية مياه البحر وانشاء المدارس والجامعات واقامة المدن ... أصبحت محتاجة بالضرورة للكفاءات العلمية والاختصاصات التي تسد احتياجات طور التأسيس الحضارى في البلاد ... وتضائلت فاعلية الأدب ... وأصبح الرأي العام مشغولاً عن انتاج الكلمة ... يحصي مشاريع الدولة وما حقته من انجازات . . .

ولا نستطيع أن ننكر ، ان هذه الدعوة العلمية البحتة جاءت نتيجة حتمية لأوضاع البلاد الحالية ... وما فرضته من حركة التطور السريع ... الا انها ليست مقصورة علينا فقط ... بل هي قائمة في جميع الدول العربية الشقيقة ... بل وفي العالم أجمع ! فقد بهرت الانجازات العلمية الغربية المتفوقة .. العقول .. فدعت الناس الى غربة أعمالهم ومراجعتها ... فقد حمل العالم العربي لواء الفكر والبلاغة والفصاحة والشعر والأدب زمناً طويلاً ... والآن أعاد النظر بالماضي وقرر اللحاق بركب العلم والتكنولوجيا .

ولكن ... هل معنى ذلك أننا لا نوافق أمتنا في اتخاذ هذه الخطوة .. وهل معنى ذلك أننا نطالبها بالعدول عن اتجاهها نحو العلم والتطور .. ورجوعها الى عزة ماضيها في الأدب والشعر ... ؟ كلا ... ليس هذا ما أقصد في تلك اللفتة اطلاقاً وانما ذكرنا ذلك لسببين :

١ - لأظهار هذا التحول العلمي كسبب قوى أدى الى تضائل فاعلية الأدب في العصر الحديث .

٢ - للتنويه ... بأن الحضارات لا يمكن أن تبنى على العلم وحده والمادة وحدها مع اغفال النواحي الفكرية والمعنوية . فقد كانت وستبقى معطيات الفكر الأدبية والمعنوية ... ميزاناً لحضارة الشعوب وتطورها ... ولم ينم قط .. أدب رفيع عند الأمم المتخلفة ... والأمثال قائمة في صفحات التاريخ فالألم : الفارسية .. واليونانية .. والهندية .. والعربية .. عندما كانت أقوى شعوب عصرها ... كانت آدابها أعظم الآداب الإنسانية قاطبة ... وصدرت الفكر والثقافة للعالم ... وعندما تخاذلت وتفككت ... انحدرت آدابها .. وانحسرت آثارها .. وانزوت في كهوف مظلمة !

#### **رابعا - اهمال خطط التنمية للقطاعات الفكرية والمعنوية :**

والتحدث في هذا الموضوع ذو ارتباط متكامل بالبند السابق انذى تحدثنا عنه

وهو الوضع الاقتصادي والحضارى في المملكة السعودية ، الا أننا سنأخذ بمناقشة وجه آخر لنفس الموضوع ، يختلف اختلافا كاملا عن سابقه .

فكما ذكرنا ... ان الظروف التي فرضتها الحاجة الملحة على المسؤولين عند دراستهم لخطط التنمية ان يكتفوا الاهتمام على النواحي المادية النفعية البحتة .. ونحن اذ نقدر ضخامة المسؤولية التي تفرض عليهم العمل الحثيث لوضع تلك الخطط موضع التنفيذ الا أننا نتساءل؟؟؟ ماذا عن خطط التنمية الفكرية والمعنوية؟؟ أين يقف الأديب بفكره ... والشاعر بقصائده ... والرسام بلوحاته ... وسط زحام المادة ؟ .. وهل حظي هذا القطاع بنسبة معقولة من الميزانية كي تخصص لدعمه وتطويره ؟ بل هل حظي هذا القطاع بالدراسة والتخطيط ليجاد الوسائل التي يمكن توفيرها لاتاحة فرص أكبر لتشجيع العطاء والانتاج ؟

الحقيقة ان الاهتمام الذي لقيه اهل الفكر والقلم لا يتناسب مع ضخامة الخطط المرسومة للتنمية في البلاد وخاصة اذا ما نظرنا الى الاهتمام البالغ الذى حظيت به القطاعات الأخرى ( القطاع الرياضي مثلا ) .

وهناك حقيقة لا يمكننا ان نغض الطرف عنها ... وهي أن اهل الفكر والقلم عندنا مجدودون على العمل بصرف النظر عن نوعية الاعمال ... طلبا للقوت والرزق... فما هي النتائج التي حصدها من ذلك ؟ :

١ - عدم تواجد الظروف الملائمة للامتحان الادبي والتفرغ .. فمهنة الأدب لا تسمن ولا تغني من جوع ، ومشاكل العمل تذهب فرص التفرغ للقراءة والاطلاع والبحث ومن ثم الانتاج .

٢ - اتجاه المتخصصين بالثقافات العليا الى مهنة التدريس الجامعي ... ولسنا هنا بصدد التخفيف من عظمة شرف التدريس الجامعي ، ومسؤوليته فسي تعليم الأجيال وبناء الأساس الفكرى والثقافى للأمة ... وانما نقول : ان الاعباء الضخمة التي يحملها الاساتذة تقف حائلا دون تفرغهم للتأليف أو الترجمة أو احياء التراث أو طرح البحوث الهامة التي تتعلق بمجالات اختصاصاتهم .

٣ - اتجاه الجزء الآخر من أصحاب الفكر والقلم الى امتحان الصحافة .. والصحافة لا تشبع من العطاء .. ولا تتوقف عن الأخذ .. فتلتهم الوقت والاقلام والجهود وما أكثر من فقدهم الأدب عندما تفرغوا للصحافة وأكبر مثل على ذلك كلمة اعتراف للاستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كتابه ( كلام في الأدب ) حيث قال : « نعم جنت الصحافة علي أقطع جناية ، حيث أجبرتني أن أترك الأدب الحق لأعمل بالصحافة، وما اشتغلت بها الا مجبرا لأعيش ، ولو كنت ذا ثروة أو مكيفا في المعيشة لما رضيت أن تلتهمني وتتحكم بي وتستبد وتظلم . وكان بين يدي بضعة أعمال أدبية ضخمة تركتها مضطرا منها : تحقيق كتب مطبوعة طباعة غير موثوق بها وبعضها مخطوطات

أدبية وعلمية ولغوية وتاريخية . ومنها دراسة الطبقات والاقتصاد في الاسلام ...  
ولكن جاءت الصحافة فشغلتني وصرفتني عن طريقي ... !

٤ — أدت الأسباب السابقة مجتمعة الى ظاهرتين :

الاولى : النقص الهائل في حقل التأليف والانتاج .

والثانية : اقتصار محاولات معظم أدبائنا وكتابنا على تجربة واحدة أو اثنتين أو أكثر قليلا عند قلة منهم في المدة الأخيرة ... فالكاتب الذي يخوض تجربة التأليف دون أن يكون متفرغا لها ، لا بد وأن يصادف كثيرا من الارتباك والارهاق لمحاولته التوفيق بين عمله ومسؤولياته من جهة وبين مصاعب البحث والتأليف من جهة أخرى . فاذا انتهى بعون الله من تجربته الأولى تردد كثيرا قبل أن يغامر بالثانية .

ومن هنا نجد أن كتابنا بأقلالهم هذا لا يدعون المجال للتطور والنضج من خلال تكرار التجارب والمحاولات ... فنتوقف محاولاتهم عند البداية ... وتبقى تجاربهم عائمة على السطح عاجزة عن اكتشاف الأعماق .

### خامسا — الارتباك في حركة النقد الأدبي :

عندما بدأت بوادر التحرك الأدبي في البلاد منذ أواخر الربع الأول من هذا القرن رافقتها بطبيعة الحال بوادر لحركة النقد الأدبي .

وقد كان النقد منذ عرفه العرب بالجاهلية بصورة فطرية بدائية وإلى عهدنا الحالي غربالاً يميز بين الجيد والردىء ، ودافعا لتهذيب المواهب وصقل الملكات ... وبما أن ظهور الحركات النقدية ملازم أصلا لظهور الحركات الفكرية والأدبية ، فإن خمود الفكر وضمور الأدب بالتالي يستدعي ارتباكاً وخموداً في حركات النقد .

وقد بدأت حركة النقد في أولها في أواخر العقد الثالث من هذا القرن كما ذكر الدكتور محمد الشامخ في كتابه ( النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ) عندما ظهرت الدعوة للثورة على الأدب التقليدي والانتماء للمدرسة الأدبية الحديثة . إلا أن الكتابات التي طرحت في هذا المجال كانت متسمة بالفموض والتعميم والاندفاع ولم تعرف العمق والموضوعية وأصول النقد . ثم ما لبثت أن ظهرت جريدة « صوت الحجاز » في أوائل العقد الرابع من هذا القرن ... فتحولت معظم أعمدتها إلى المعارك الأدبية النقدية التي لم يبق معظمها لخلاف حول مفاهيم نقدية معينة بل تحولت إلى معارك ذات دوافع شخصية ونزعات ذاتية .. مما جعل محرر صوت الحجاز في العدد ٨١ — تاريخ ١٩٣٣/١١/١ م . يعلن بأن الجريدة لن تنشر شيئا من مقالات النقد الهجومية قائلا : « وكأنهم بذلك يريدون القضاء على تلك الروح الأدبية في مهدها » .

ومن الزلات التي وقع فيها النقد الأدبي عندنا في بداية ظهوره .. نظرة الترفع عن كتابة الأدب والشعر بصورة خاصة ... ففي فترة زمنية معينة نظر الناس إلى

الشعر ... والقصة ... على انها تجارب شخصية بحتة وترجمة ذاتية لمشاعر  
الاديب وعلاقاته الخاصة ... مما سبب حرجا لبعض الكتاب والشعراء في طرح  
انتاجهم ونشره خوفا من انتقاد المجتمع لهم . وفي هذا يقول محمد سرور الصبان  
في كتاب « أدب الحجاز » بالصفحة السادسة : « قرض الشعر وروايته ... والنظر  
في كتب الأدب مما لا يليق ... والترفع عنها من الكرامة ... » .

هذا ولئن تلاشت النظرة في الوقت الحاضر ... الا انها لا زالت تحجب عنا  
الكثير ... الكثير ... من الأدب النسائي !

ولا يفوتنا أن نذكر ، أن حركة النقد قد أخذت بالانصاف والنضوج والموضوعية  
وتدرجت نحو الكمال والوعي للاصول والأسس التي بني عليها النقد الهادف الصحيح ،  
وابتدأت حركة النضج هذه في تصاعدها منذ العقد الخامس من هذا القرن الا أن ما  
عاناه النقد الأدبي السعودي قبل هذه الفترة من الارتباك والضعف كان له أثر سيء  
على التحرك الأدبي وقد أسلفنا سابقا شدة الالتصاق والترابط بين النقد والأدب .

### سادسا — الدعوة الحديثة للأدب الحر :

لسنا هنا في صدد المناظرة والموازنة بين الأدب القديم والحديث أو الانتصار  
لأحدهما على حساب الآخر ... وإنما سنأخذ من الموضوع الجانب الذي نشعر  
بارتباطه وأثره على الأدب السعودي الحديث . فمنذ أن قامت حركة التجديد في  
الأدب الحديث بثورتها العارمة على القيود التي التزم بها الأدب العربي لقرون طويلة  
من الزمن ... نتج عن تلك الدعوة المتجددة ظواهر متعددة طرحت جوانب ايجابية  
وسلبية على حد سواء ... ! فمن ايجابياتها حركة الإبداع الفكري والتجديد العقلي  
التي بعثت الفكر العربي من رقاده بعد أن احتواه الضياع ولفه العقم ودخل في جحور  
مظلمة قائمة قرونا طويلة من الزمن ، امتدت منذ سقوط الدولة العباسية الى انتهاء  
الحكم العثماني ، حيث أصبح الأدب العربي حلقة مفقودة سقطت من سلسلة التاريخ .

أما السلبيات للدعوة الحديثة للأدب الحر فتجلت في ظاهرتين :

الأولى — أنها فتحت باب الأدب ، ونزعت عنه الحجاب والحراس وسهحت  
دون استثناء بدخوله وارتياح حرمة من قبل الجميع ... فاختلط الحابل بالنابل وأتيحت  
الفرص أمام الموهوبين والمدعين على حد سواء ... وامتألت المكتبات بالكادس من الانتاج  
نذر جيده ... وكانت غالبية من انتاج زمرة المتطفلين على الفكر والأدب ... فكتبوا  
ما يشبه النثر وأسموه أدبا ... وجمعوا كلمات غثة متنافرة متناقضة ، وأسموها  
شعرا حرا وطليقا وانحدر مستوى اللغة العربية ... وأثقلت السطور بالأخطاء  
النحوية والتراكيب الركيكة ... وأصبح معظم الانتاج المطروح في الأسواق مكتوبا  
باللغة الثالثة ونعني بها لغة جديدة مفهومة من قبل الجميع ولكنها لا تحمل هوية  
واضحة ، فلا هي بالعامية الدارجة لمراعاتها للأصول اللغوية العامة ، ولا هي بذات  
قربى الى اللغة العربية الفصحى . وسبب كل هذا انحدارا في المستوى العام للانتاج

الأدبي ، فابتعد الجيل عن الأصالة في الأدب ولم يعد يجد في المكتبات ما يغذى فكره ويهذب مواهبه فكان في ذلك جناية على الذوق العام عند الناس ، واحباط للمواهب الفتية التي ابتعدت عن الأصالة الفنية فتوقفت تلك المواهب حيث هي ... وقد حرمت من أسباب الارتقاء نحو النضج والتكامل .

**الثانية —** ظهور مهنة حديثة لم يعهدها الأدب العربي ولا الآداب العالمية الأخرى وهي مهنة « التجارة الأدبية » فقد قام بعض الأدعياء بطباعة كتب رخيصة الفكرة والمعنى والأسلوب تدور موضوعاتها في مجالات مختلفة لا علاقة لها بالمفاهيم الإنسانية أو المغامرات السطحية المفتعلة ، أو البطولات الخارطة الخالية من الغاية والمعنى ، أو الكتب المأجورة التي كان الغرض من تأليفها نشر مبادئ أو عقائد معينة ، ولا علاقة لها بأصول الأدب ومفاهيمه وغاياته .

وصرفت الأموال لترويج الدعاية لهذه الكتب ... للاسراع في جني الأرباح والأموال من ورائها وهكذا دخلت التجارة في نطاق الأدب ، وقذفت المطابع أكواما من الكتب الرديئة نثرا وشعرا ... وكانت النتيجة ، أن افتقدت أجيالنا القدرة على الانتقاء فدفعت بهم تلك الظروف الى متاهة البحث عن الجيد حيناً ... ومتاهة الانسياق وراء الانتاج الرديء أحيانا أخرى !

والآن ... وبعد ذلك المرور على مناقشة أسباب آفة الجهود التي أصابت الأدب السعودي لفترة طويلة فأننا نود أن نعقب القول ببعض الملاحظات .

ان الأرض التي شرفها الله واصطفها لنزول القرآن الكريم باعجازه وكماله لن ينضب فيها العطاء ... وان الأصالة التي اتصف بها الفكر العربي الذي انطلق من هذه البلاد لن تتلاشى مهما جنت ... وان الحضارة الفكرية العريقة التي صدرتها تلك الديار فأصبحت مدرسة يأخذ عنها العالم لن تمحى وان بهتت ألوانها .. فالجوهر موجود ... كامن في رمالها وتلالها ... وما علينا الا نفص الغبار عنه ليعود الى لمعانه ويستدعي ذلك اتخاذ بعض الحلول والخطوات مثل :

✽ اهتمام الاعلام بكل أجهزته في زيادة البرامج الأدبية سواء في التلفاز أو الاذاعة أو الصحف والمجلات ... وعلى سبيل المثال فهناك برنامج تبثه اذاعة بغداد تحت اسم ( رسائل جامعية ) يناقش فيها الاساتذة طلابهم برسائل الماجستير والدكتوراه في مجالات الاختصاص ... ومثل هذا البرنامج يطرح فوائد هائلة ، ان لم ينتفع بها الجميع ... فانها ولا شك تنفع طلاب المراحل الثانوية والجامعات والكليات والدراسات العليا .

✽ محاولة النهوض بتلك البرامج الأدبية سواء أكانت في الصحف والاذاعة والتلفاز أو في الندوات الأدبية والشعرية ، وذلك باستقطاب الاساتذة المتخصصين وأهل الفكر والأدب والشعر ... ومثال ذلك أننا لم نشاهد الشيخ حمد الجاسر

على الشاشة الصغيرة سوى مرة واحدة حتى الآن ... ولطالما شاهدنا الدكتور غازي القصيبي والدكتور ابراهيم العواجي وغيرهم من أهل الفكر والأدب يتحدثون عن التصنيع والتنمية وبرامج الدولة ... فلماذا لا تستضيفهم الشاشة في ندوات عن الشعر والأدب ؟

✽ التركيز على زيادة النوادي الأدبية وزيادة دعمها المادي ، وإيجاد الوسائل لخلق التنافس بين هذه الأندية ... كتخصيص مكافآت مالية ومنح أرض واقامة مبان واهداء كأس رمزي لأحسن ناد يثبت جدارته بالعمل والنشاط والانتاج .

✽ تخصيص مكافآت مالية مرتفعة لأوائل الطلبة في جميع مراحل التعليم ومثلها لاجود كتاب ... وأحسن قصيدة ... وأنفع بحث ... وكل انتاج يعود بالفائدة والنفع للمصلحة العامة .

✽ اصدار مجلة أدبية ثقافية على مستوى عال رفيع ، يستكتب فيها أهل الفكر والعلم والأدب ... ويثار فيها النقاش النقدي السليم المتصف بالموضوعية والبعيد عن الهجوم الشخصي واللهجة العنيفة ، وتأمين ايصال هذه المجلة الى الطلبة .

✽ ادخال طريقة البحوث الثقافية في مناهج التدريس ابتداء من المراحل المتوسطة فيعهد للطلاب بقراءة بعض الكتب .. او نقدها .. وتقديم بحث عن معلوماتها ومن ثم احتساب جزء من العلامات ( مثلا علامات أعمال السنة ) لجهود الطالب في تلك البحوث بعد مناقشته والتأكد من استيعابه لها .

✽ توجيه الاهتمام في خطط التنمية المرسومة للنهضة الحالية الى طرح خطط تنمية مماثلة تهتم بتطوير القطاع الفكري ودعمه .. الى جانب القطاعات المادية والعملية الأخرى .. بحيث تتماشى اليقظة الفكرية مع التطور الحضاري الهائل والسريع .

✽ اصدار قانون « بدل التفرغ » لأهل الفكر والتأليف والبحوث والترجمة والنشر وقد صدر هذا القانون فعلا في السنوات القليلة الماضية ( ..... ) والأمل الكبير معقود على نتائجه التي ظهرت بوادرها في السنوات الأخيرة بشكل مشجع وعظيم .

✽ محاولة دعم حركة الترجمة والاطلاع على الآداب العالمية الراقية حتى تعمق ثقافتنا بمعرفة الثقافات الانسانية المتعددة الجوانب مع التركيز على الاحتفاظ بالأصالة العربية . ومن ثم فتح المجال أمام احياء حركات النقد الأدبي **الموجه** لأن النقد دليل على وجود الأدب والاهتمام بالنقد دليل على الاهتمام بالأدب ، أما الصمت وخلو الميدان من الآراء فهو دليل على الجمود وضعف الحاسة الأدبية . و احياء النقد في الساحات الأدبية ذو ارتباط كامل مع سعة الاطلاع والقراءة المتنوعة والشاملة لجميع ما أنتجه الفكر سواء في النطاق المحلي وذلك بالاطلاع على التراث العربي قديمه وحديثه ،

أو في النطاق العالمي بالاطلاع على الآداب الأخرى في العالم قديمها وحديثها ... وكثرة القراءة واتساع المعرفة تعطي المجال للانتقاء والمفاضلة والتفريق بين الجيد والردىء ... وفي هذا المعنى قال الدكتور محمد مندور في رابطة الأدب الحديث في القاهرة الكلمة التالية « ان الكتاب الناشئين يكتبون أحد عشر شهرا ويقرؤون إحدى عشرة ساعة وكان الواجب أن يقرؤوا أحد عشر شهرا ويكتبوا إحدى عشرة ساعة » .

وانحاء هواية القراءة والاطلاع بحاجة الى التوجيه والرعاية من عدة قطاعات :

( ١ ) الأسرة : وتشكل المهد الأول لتربية النشء وتوجيهه وذلك بجعل المكتبة إحدى الأركان الرئيسية في المنزل ، مع الابتداء بعادة اهداء الكتب للأطفال في المناسبات ومحاولة مناقشتهم وتبسيط المعلومات لهم واثابة الطفل المحب للقراءة بالهدايا الرمزية .

( ٢ ) المدرسة : ويتوجب عليها الاهتمام بانشاء المكتبة المدرسية كاهتمامها بانشاء المختبرات العلمية والالعب الرياضية وغيرها من مظاهر النشاط المدرسي مع اثابة الطفل القارئ ببعض العلامات أو بخطاب تقدير وشكر وما شابه ذلك من الوسائل التشجيعية .

( ٣ ) المعاهد والكليات والجامعات : فمعظم المكتبات في تلك القطاعات الهامة تعاني من أزمة النقص في الكتب والمراجع الهامة ، ويضل طلابها في متاهة البحث عن الرئيسية المقررة لدراساتهم مما يضطرهم لاستيرادها من خارج المملكة أو لكتابة ملخصات عن محاضرات الاساتذة .

( ٤ ) الدولة : ويربطنا الحديث مرة أخرى بخطط الدولة للتنمية الفكرية . فاقبال التجار على تجارة الكتب نادر جدا ، لأن التاجر يسعى — معذورا — لرزقه وما يعود عليه بالربح الأوفر .. ولذا نجد معظم الأحياء في مدتنا وقد خلت من المكتبات العامة والخاصة على حد سواء . فلنأخذ مثلا الأحياء التالية في الرياض : السليمانية العليا — البديعة — الناصرية — المربع — الشميس — عليشة — الوشم ... وغيرها نجدها خالية تماما من دور الكتب . أما المطار والمزرعة فنعثر فيها على ثلاثة متاجر صغيرة تباع الأدوات المدرسية والهدايا والالعب والصحف والمجلات . وفي نفس الوقت نجد الشوارع في هذه الأحياء وقد اكتظت بالتاجر المتنوعة وفي مقدمتها متاجر اشربة التسجيل الحافلة بالزمائر والطبول وهذا ما دعانا للقول بأن على الدولة ان تراعي في خططها الاهتمام باقامة المكتبات في الأحياء المختلفة .

وفي الختام نقول ... ان مسحة التشاؤم التي لازمت السطور في هذه المحاضرة لا تعني الاستمرارية والثبات ... وان الآفات التي أصابت الحركة الأدبية السعودية لأخذة بالضمور والانحسار . ففي السنوات الأخيرة ظهرت بوادر للتساؤل المقرون بالاهتمام والتحرك ... فتساءل الجميع ... أين الأدب السعودي ؟ وبنفس الوقت

ظهرت بوادر الاهتمام بالرد على هذا السؤال من قبل الجميع ... الدولة وأهل الفكر وأصحاب المواهب الناشئة والصحافة والمواطنين والطلبة ... وبدأنا نسمع بولادة النوادي الأدبية .. والدعوة الى احياء سوق عكاظ ... وتخصيص الصفحات الادبية في الصحف ، واهياء الندوات والمحاضرات في الجامعات والكليات والنوادي ، وأصدرت الدولة قانون بدل التفرغ للأدباء والاساتذة ، كما التزمت بالانفاق على تأليف الكتب الجيدة ... وبدأت أسواقنا تشهد ورود سيل من الكتب القيمة التي تبحث في معظم النواحي الفكرية شعرا ونثرا . ورافق ذلك كله الانتشار الهائل الذي تشهده حركة التعليم والثقافة ، مما أدى الى اعادة تقييم النظرة لرواد الفكر والادب وأعطائهم حق التقدير والريادة كبناء لأسس النهضة الفكرية والثقافية التي تشكل حجر الأساس في النهضة الحضارية العامة التي تمر بها البلاد الآن ، كما أدى الى اعادة تقييم النظرة لأدب المرأة الذي قبع في الكهوف المظلمة سنوات طويلة دون أن يلامس خيطا من نور ! وبذلك دخل الأدب السعودي في مرحلة الانتقال نظرا لحدائتها والعطاء ... وقد ملنا الى تسمية تلك الفترة باسم مرحلة الانتقال نظرا لحدائتها وقصر مدتها ... فالحركات الأدبية بعيدة العمق واسعة الشمول يتعذر الحكم عليها في فترة قصيرة المدى .. ولكنها سحائب غيث انعقدت فوق سماء الأدب ... حاملة بشائر الخير والبركة التي نأمل أن تبدد برذاذها حالة القحط والجذب التي عانت منها ديار كانت موطن قوم تجيش البلاغة والفصاحة في صدورهم فتقذفها السنتهم بالفطرة والسليقة ومهبط لغة القرآن التي هي من الأصالة والاعجاز والكمال بحيث استطاعت أن تحتوى اللغات .. وتصهر الحضارات في بوتقة الحضارة الاسلامية العربية الأصيلة ... من أقصى مشارق الارض الى مغاربها !





## مراجع البحث

الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار

د . شوقي ضيف

عبد الله بن ادريس

د . محمد عبد الرحمن الشامخ

د . غازي القصيبي

د . منصور الحازمي

ترجمة الدكتور أحمد الضبيب

كلام في الأدب

تاريخ الأدب العربي في  
العصر الاسلامي

شعراء نجد المعاصرون

النثر الأدبي في المملكة  
العربية السعودية

محاضرة - هل للشعر  
مكان في القرن العشرين

من محاضرات جامعة الرياض  
الادب العربي الحديث  
١٣٩٥ / ٩٤ هـ.

اللهجات العربية في شرقي  
الجزيرة



## النقد العربي إلى أين يسير ؟

بقلم : مناحى ضاوى القنالى

متى نعتقد العزم على استكمال المسيرة الثقافية ومواصلتها دون خواء أو شلل فكري فيه تيه وتقصير يرجع بنا الى مزبلة التاريخ .

وحتى لا يكون ذلك متواجد فى الساحة الأدبية وخاصة فى النقد الأدبى ، يجب على الناقد الأدبى الترفع عن الاسقاطات الرديئة المبتذلة من أجل أن لا تذوب أعماله الناجحة ، وأن يكون فى حساباته احترام قدسية الحرف وشرف الكلمة التى تؤثر فى حياة الأمة .

وتكريس حياة هذا الكاتب الناقد للخير والسلام وانتهاج خط سير معين مستهدفا فيه ابراز الأعمال الناجحة دون الحط من قيمة الآخرين والتقليل من شأن أعمالهم ، والدخول فى مهارات جانبية وفردية ذاتية لا تخدم الادب عموما .

والا يحاول الناقد الصيد فى الماء العكر والنفخ فى القرب المثقوبة وأن يراعى معايير ومضامين تكفل له السير بخطى ثابتة وحسب قواعد معروفة فى النظام الهرمى للنقد الحق الثابت مع اصطناع مناهج ومفاهيم جديدة بالدراسة النقدية الأدبية ضمن اطرار وحسب مقاييس وضوابط منهجية صادرة من الوجدان ومنجبهة للوجدان .

والعودة الى الذات الأولى الصافية ، وأقصد بالذات الأولى الرجوع الى الفطرة البدوية الأولى السليمة التى لا تعرف الكذب والرياء والمحسوبية والمجاملة ضد المصلحة العامة .

وحتى لا نحيد عن جادة الحق والصواب فى أعمالنا النقدية ، يجب أن تعمل مراكز الثقافة فى عالمنا العربى من أجل خلق المثقف العربى القادر على استقبال المعرفة والاحتواء لها ، والارتقاء عن سمات ومظاهر الانحراف والتناق والتحييز لفئة دون أخرى ، والابتعاد عن سمات الكراهية والغيرة والانانية الرذيلة التى يرفضها المنطق ، والعصبية الاقليمية الذميمة التى تبعد بين الأدباء العرب وتعمل فى شرح وشائج الروابط الأخوية والعرقية والتاريخية ... بين الأمة الواحدة .

وأن يكون النقد ممثلا للنزاهة والخلق الرفيع ، فيه صبر وذكاء وفطنة واتزان ، وأن يتحلى الناقد الأدبى بالشجاعة والصراحة مع النفس والاصالة الخلقية والمقدرة الأدبية البدعة مع التركيز على عوامل عدة منها محاولة الكشف عن المواهب الشابة ان وجدت ، وانصاف ... المضمورين وعدم التعصب والتشيع لشيء لا يخدم الحق والفضيلة ، وأن لا يبنى نقده على عوامل مترهلة واهية ضعيفة البنية لا تسندها الحقيقة لأن النقد والناقد لا شك مقيد بمذاهب وأيدولوجيات معينة ، وخط سير معين .

واقصد بهذا الناقد الأصيل ، وهو علاوة على ذلك خادماً مخلص وأمين لتراثه ومجتمعه الذى تربى فيه ، وأن يترك الناقد الغموض والابهام فى الكتابة ، فالغامض لا يخدم الحقيقة ، ولا يمثل مسار معين ومنهج علمى يدلنا على شخصية ذلك الناقد الذى يجب أن يصب نقده من أجل إبراز مجهره الأعمال النافعة ، مع تلاقى السلبيات ، وتمجيد الإيجابيات الصالحة واعطاء فرص كافية فى التجربة الجادة من أجل الإبداع والكشف عن القدرات والمهارات الجديدة والنظر من جديد فى تحريك البنية الاجتماعية والتربوية والثقافية والإعلامية ...

وأن تكون هذه المؤسسات التى يجب أن يسير عبرها الناقد الأدبى ممثلة بحق فى تحمل مسؤولياتها كاملة ، متقبلة لما يصدر إليها من توجيه صحيح من قبل الناقد .

لأن الإنسان العربى الذى يجب أن تمثله مؤسساته الثقافية والعلمية والاجتماعية والسياسية هو ذاته الهدف الأعظم والأنبى ، مع إيجاد الحس الوطنى والاجتماعى فى بناء شخصية عربية متكاملة ليكون لدينا قابلية ذهنية من أجل تحسين المرامى الجديدة التى يجب أن تهدف نحو العمل على تخطى العوائق والعقبات والصعاب .

وحسب الظروف القائمة مع التركيز على القضايا الوطنية المصيرية لهذه الأمة الخالدة ، والذى يجب أيضاً أن يسير النقد مع أطوار هذا الإنسان حسب مفاهيم واضحة إيجابية تعطى فرصاً كافية فى التجارب الجادة ، وعدم الهروب من النقد والمسئولية ، حتى نتمكن أن نثرى عن طريق الإنتاج الدسم ممثلاً لمسار الميادين الحياتية عامة ، وميدان الأدب الجيد خاصة والمتسم بالرصانة والجزالة والجودة ، وأن يكون نقدنا مرتكزاً على المنطق العقلى وإيراد البراهين والحجج التى تبرهن على الصدق .

وبذلك تمدنا بالحجة التى ترفض اللجوء إلى العاطفة السريعة وأن يكون لدينا فى النقد الفطنة والذكاء فى دقائق الأمور وخفاياها ، وأن يتذوق الناقد القطعة التى يريد نقدها وتقويمها ضمن منهج علمى صرف ، مع الدراسة والتحليل لهذه القطعة بطرق مبتكرة فيها الجديد النافع ، والتقديم الأصيل ، وأن يتوفر فى الناقد احاطة وشمولية وخبرة مع الذوق الفنى .

والناقد أن لم يكن كاتباً أو شاعراً ، أو قصصياً ، فإنه لا يحسن النقد ، لأن الشاعر والكاتب يشعر بما لا يشعر به غيره من القول ، فيفصح عما فى نفسه الممثلة للنفس البشرية ، وليعبر عن آمال وآلام أمته بصدق ومعرفة .

وقد قيل ما معناه :

« أن الناقد الأدبى هو أديب فاشل لأنه لم يستطع التعبير عن تجربته الأدبية فسلط النقد للتقليل من أعمال الآخرين والخط من شأنهم ، وأن يظهر أنه فاهم وقادر على الانتاج ، وربما مصدر ذلك عقدة النقص أو مركبه » .

لذلك الأديب الحق هو من يقول كلمته بصراحة متناهية ، فيجد من الأوساط الأدبية والعلمية الجحود لأنه لا يجامل ولا يخشى فى الحق لومة لائم .

« وقال الأديب العربى الراحل » : ( محمد كرد على ) « ما معناه للناقد العربى المعروف ( مارون عبود ) زرت معظم دول العالم فوجدت الناس يكرهون الناقد ، ووجدتهم يقيمون تمثالا لكل ذى شأن ، الا الناقد لم أجد تمثالا واحدا له » .

فمن هذا ومن خلال تتبع مسارات الثقافة العربية والحركة النقدية نجد أننا غير متبصرين فى عالمنا العربى ، وبجدية واثراء بخط نقدى معين لأننا لا شك قد بليت مدارسنا النقدية العربية بمن يدعى المعرفة النقدية وهو فاقدها « وفاقده الشيء لا يعطيه » .

فهل فقدت القدرة على التعبير عن مكونات النفس البشرية التى يجب أن يكون مصدرها الحق والصدق الواقعى مع النفس .

وهل محررى كل صفحة أدبية فى مجلة أو صحيفة معرفة تامة عن اتجاهات المدارس والمذاهب الأدبية أمثال : —

١ — الكلاسيكية ( الاتباعية ) التى قامت أولا عند الأغريق ثم الرومان وظهرت بواكيرها حقيقة أبان عصر النهضة الأوروبية الحالية ، وهى كلمة تعنى الطبقة العليا من الناس تمجد القديم وتحافظ عليه ويغلب عليها التقليد ، يمثلها فى عالمنا العربى من الشعراء .. « زهير بن أبى سلمة ، والحطيئة ، والمتنبى ، وأبو تمام ، والبحترى ، والشريف الرضى ، والبارودى ، وشوقى ، وحافظ ، والجارم ، وغنيم » .

٢ — المدرسة الرومانتيكية ( الإبداعية ) ظهرت حديثا فى فرنسا وبالتحديد فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وهى تمجد الجبال والطبيعة وغير مقلدة ، مبتكرة ، تسعى الى التطوير ، يمثلها فى شعرنا العربى « أبو نواس ، والمعرى ، وابن الرومى ، ومطران خليل مطران ، وأبو القاسم الشابى ، وشعراء المهجر عموما وشعراء الارض المحتلة » .

٣ — الى جانب هذا توجد المدارس النقدية الأدبية التى منها الواقعية والرمزية والسريالية والوجودية لها تمثيلا أكثر فى العالم الأجنبى .

اننى أطالب من هنا أن يدرك النقاد ومشرقى الصفحات الأدبية فى الصحف العربية دورهم فى رفع البنية الثقافية والمعدلات الأدبية العريقة وأن تنطوى رسالتهم الأدبية بالالتزام بالمثل والفضيلة ، والبحث عن المستويات الجادة الأكثر ابداعا واشراقا ، وادراكا للمسئولية من أجل اثراء الساحة الأدبية العربية بكل جديد مفيد ، والتركيز على الاحتواء للحقيقة وتسليط الأضواء الدالة عليها ، وعدم التعرض لمواضيع لا يعرف الناقد عنها الشيء الكثير ، وأن يستكمل جوانب الموضوع قبل نقده حتى لا تحصل هفوات وهنات تحط من مكانة الكاتب الأدبية ، والا يغالط الواقع والحقيقة المنشودة .

مع عدم ميل الناقد للهوى لما فى نفسه ، واتباع أسلوب الانحياز بالعواطف والأحقاد لتحقيق مصالح ذاتية خاصة له .

وايضا عدم الهذيان والهوس والرقص على طبول أمجاد زائفة لا تقوم على خلفيات وأرضية صلبة ، بل تقوم على أرضية هشة لا تقوى على الصمود وبالتالي يصبح مصيرها الذوبان على جنبات الواقع .

وأن تكون المسيرة الأدبية الخيرة هي هدف الناقد الأدبي . ومشرفى الأدب فى الصفحات الادبية مع التركيز على الحقائق الواضحة المعالم والخصائص التى تفصح عن المضمون فى صدق كاتبه ، والبحث عن أسرار الجمال الفنى لأن الناقد لا شك صانع مبدع ، يقدم للبشرية خلاصة التجارب الفلسفية ويقدم أيضا الأعمال النافعة التى تستحق منه الإشادة والتعريف .

كل ذلك فى ومضة فكرية جيدة خلاقة تركز على مسارات الأمة الحياتية والشمولية منها متخذة من التجارب الانسانية الوقود المساعد على الابداع والعتاء ضمن وعلى ضوء المعادلة التاريخية للامة بقدر ما يقدم الناقد من أعمال جيدة صادقة تبرز أهميته .

فيكون نقده ممثلا للقوة والصدق والمتوهج بحرارة نحو الهدف الأسمى والتفاعل مع المجتمع ، فتكون أعماله نابعة من القلب ، فيها الخير والمردود الحسن .

وحتى نبسط المناهج والمفاهيم النقدية يجب أن نتبع المنهج العلمى والعملى الصرف المستند على ايراد الحقيقة العقلانية والبحث عنها وحدها واستقصاء جزئيات الموضوع المنقود ، بواقعية لا مغالطة فيها ، والالام بمختلف النظريات النقدية والتيارات الفكرية النقدية ، والتمثيل بشواهد منها والصدق والاخلاص لهذا العمل ، والسعى من أجل تطويره مع وضوح الرؤيا لطريق الكاتب .

وايضا تطبيق المناهج الحديثة الأكثر مواكبة للعصر على النصوص التراثية والحديث منها ، بهدف الانطلاق بذلك لتكوين المدرسة النقدية العربية الجديرة بالتشجيع .

وحتى لا نساهم فى قبر وانحطاط هذه المدرسة الثقافية العربية الرصينة الرائدة، يجب التطبيق السلوكى للاخلاقيات العربية والامتصاص الثقافى فى مثالية سلوكية وبعد فهم ، وعدم الشج فى بلورة التفاعل الصالح مع اجراء تطبيقات منهجية جديدة، والمرور بمرحلة استيطان داخلى يؤكد الانتماء الى عملية معرفية تقرر مستقبلنا فى النقد العربى ، وضمن اطارات ومسارات تاريخية عميقة الجذور تجسد قاعدة متينة من الابداع .

وبخلفية مشبعة بالاخلاص والرغبة المبطنة للعمل الجاد والتفاعل ضمن هذا المسار دون اعوجاج ومراوغة ، وعدم الابحار ضد التيار العاتى وفى تموجات تذوب عليها الواقعية .

فمتى يدرك الادباء وشداة الادب المتأدبين أن القراءة الطويلة المضنية وأقصد بالقراءة هي قراءة كل دسم سمين وليس غث لا ينفع .

يقول أبو هلال العسكري الناقد العربى الكبير فى كتابه الصناعتين ويقصد بها صناعة الشعر والنثر ، « ينبغى أن يتكلم الكاتب أو الخطيب بنادر الكلام ورصينه ومحكمه ، الى أن قال أيضا أجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينفلق معناه ولا يستبهم فهمه » .

ومتى أيضا تبرز المدرسة النقدية العربية الواضحة المعانى المستندة على التدقيق الأدبى الفنى الخلاق ، والتي تقدر أعمال الآخرين وتقيم وتوجه هذه الأعمال بحق وحقيقة ، وأن يكون هذا الناقد ذواقا لا يقلد أو يتبع مدرسة نقدية أجنبية بعيدة عن الأجواء العربية ، ومتى أيضا نحدد هويتنا الأدبية العربية ، ومتى يكون تعبير الناقد العربى حيا لا خمول فيه ولا تقليد مخل له ، لنقده طابع خاص ولتفكيره وتعبيره مميزات ومؤهلات تميزه عن غيره .

وإن يكتب الكاتب كما كتب الجاحظ الذى تعلم كتبه العقل أولا ، وكذلك كما كتب أبو بكر بن دريد والأصمعى والعسكري ، وابن قتيبة ، وابن الأثير وابن المبرد ، وغيرهم ... أصحاب أبجديات النقد الأول .

أنه من المحتم أن يكتب الناقد بريشة الرسام الفنان ، وليس بقلم الكاتب المتعاس . ويجب أن يستند ويسير نقدنا العربى ضمن ومدرسة الفن للحياة مع الأخذ بالقيم الإسلامية الخالدة .

كل ذلك لهدف خدمة رسالة الحياة الانسانية ، وإبراز جوانب الخير التى تمثل المجتمع العربى فنيا وأدبيا واجتماعيا وصحيا وثقافيا مع تقديم كل ما يخدم الحقيقة واطهار المحاسن ومعالجة العيوب واتقان العمل النقدى وتقبله . وقد قيل : « من المناقشة ينبثق النور » ، وأن تظهر لدى الناقد مميزات منها ، قوة الفكر ، والاحساس بالمشكلة ، ووضع الحلول لها ، وأن تكون عاطفته فى النقد علمية صرفة وليست تبعا للهوى والميل النفسى حتى لا يكون فى تيه وضياح من أمره مثل السفينة التى لا تستطيع الرسو على الشاطئ بسلام .

وإن يكون رايه هادىء وصائب مع السمو ودقة وجمال التعبير ، وإبداع فى اظهار الحقيقة والصورة الجلية ، وعشقه للحكمة والكلمة الطيبة مع مواصلة القراءة الجادة الطويلة النافعة لتكون وسيلة قادرة أن يجتاز بها الناقد متهات الخواء الفكرى ، وأن يهتم بتنمية قدراته الأدبية والفنية وتنويع مصادر معارفه .

فمن أين يستمد الناقد مقوماته النقدية وهو لا يقرأ كل جديد فى التراث المعرفى ، فالقراءة الجادة تنبئ عن قناعة فى التجربة المرحلية وترسم مساحة السير العريض بخطة ثابتة بمستقبل الكاتب ، وتلقى فيه شحنة دافعة تظهر ميلاد معارف جديدة يستطيع بها صياغة فنية فى قالب جيد ، يمنعه من التلاشى بفنه واندثاره وذوبانه مع الزمن .

وعلى الناقد أن يعمل لقضية يسعى اليها تجعله ينصهر فى بوتقة الجماهير العريضة ، لأن الشعب هو المادة الخام لأبداع الأديب الناقد الذى يريد الدفاع عن جذور حضارته على ضوء الواقع الملموس ، وعلى أرضية صلبة وخلفية تسندها الحقيقة والواقع العلمى والبراهين والأدلة المستمدة من التجارب الحياتية والمعاناة والتعب اللذان يكسبان الناقد رصيذا من الخصائص المساعدة فى الحياة .

وأخيرا أقول مع الأديب المبدع والمدرسة الفذة فى الأدب العربى « مصطفى صادق الرافعى » ( ان لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ ، وان لم يكن النجم فلا تنتظر الشعاع ، وان لم تكن شجرة الورد فلا تنتظر الورد ، وان لم يكن الكاتب البيئى فلا تنتظر الأديب » .





## المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر

بقلم الاستاذ : عبد الرحمن المعمر

### أيها الجمع الكريم

ليست هذه محاضرة وانما هي خاطرة أدبية عنت لي وخطرت ببالي وأنا أقلب بعض ألوان من الشعر وشيئا من نثر قليل . فقد رأيت تشابها كبيرا بين المستشفى والطائرة وتوالفا غير منكور بين المضيفة والممرضة . وشبه اجماع بين نزلاء المشافي وزوارهم ومرافقيهم وركاب الطائرات ومستقبلهم أو مودعيهم على تصرفات ونظرات ليست كلها بريئة . وهذه طائفة من عناصر التشابه .

● يحجز الناس سررا بالمستشفيات ومقاعد بالطائرات ويتصلون قبل الحجز وبعد

● يتمنى الناس لمن يدخل المستشفى السلامة والخروج معافى ولمن يدخل الطائرة النجاة والوصول سالما .

● يحضر القادم للمستشفى معه حقيبة ملابس وأدوات حلاقة وأمشاط شعر وفرش أسنان ومناشف وكذا راكب الطائرة يصحب معه بعض اللوازم اليومية للاستعمال في الجو .

● تقدم الشوكولاته والحلويات ليمصها ركاب الطائرات ويهدي الزوار للمريض علب الحلوى والعصير يوزع على من يزوره ويأكل ويشرب منها في ساعات الخلوة .

● ينام الانسان ويشخر بالطائرات وكذا بالمستشفيات ويحدث الناس اذا استقيظ بما مر عليه ورأى في المنام من أحلام .

● كثيرا ما نسمع عن اناس لا يحبون السفر بالطائرة بل يخافون من دخولها وهي واقفة كما يقول الشاعر :

« أركب الليث ولا أركبها » .

ويتحملون وعناء السفر بالبر أو دوار السفينة بالبحر ومثلهم قوم آخرون لا يحبون الذهاب الى المستشفيات مهما كانت الاصابات ويتحملون الكي بالنار ومعالجة الكسور بالاختشاب والجبائر ومداواة الصدر والبطن والراس بالنشوق والصعوط والمروخ والبخور ويجدون لذة عجيبة في تحمل كل هذا العناء ويهربون من تناول ملقعة من الدواء أو وخز ابرة من يد ممرضة حسناء .

● يحتفل الناس بوصول المسافر وخروج المريض ويفرحون ويحضرون للسلام عليهما وتهنئتهما بالسلامة ودعواتهما للولائم والاكالات .

● بعض النساء يلدن بالمستشفيات وآخر جاءهن المخاض وهن يعتلين متن الريح مسافرات .

● يعطى المرء اسعافا بالمستشفى وفي الطائرة يتداركون المصاب بالاكسجين وسريع العلاج .

● يقدم الطعام والشراب في أطباق نظيفة على عربات تدفع بالايدي وتسير على عجلات بين الدهاليز والمرات هنا وهناك .

● يكثر نزلاء المستشفى وركاب الطائرة من ضغط الأجراس ولمس أزرة اللببات رغبة في تكرار الطلبات وتكرار النظر معا ولو شأوا لطلبوا مرة واحدة ولكنه الخبث والمكر من البعض والرغبة في التمتع بالنظر الى بدائع صنع الله بالجملة والقطاعي .

● الصحف والمجلات تسلية المسافر والمريض والنسرر والكراسي والسلالم والنقلات منظر غير مستنكر في الاثنين .

● توحيد زي العاملات في الجو والارض ووضع أوسمة وشارات على الاكتف والرؤوس .

● يتعارف بعض الناس لأول مرة في المستشفيات أو بالطائرات وقد تتطور هذه المعرفة الى علاقة وصداقة متينة يكون من نتائجها تجارة رابحة أو زواج موفق أو اصلاح بين متخاصمين أو غير ذلك .

● تدرس العاملات في المشافي والطائرات العلاقات الانسانية وطرق التودد الى الزبائن والرفق بالمرضى وتحمل مطالبهم الكثيرة وممازحاتهم ومعاكساتهم السمجة ولكن الى حد « فليحذر الذين يبالفون في المعاكسة والمزاح أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » .

● الممرضات والمضيفات من اعرف الناس بالناس فهن اللاتي يرين الناس في الكوارث والفواجع ومواقف الخوف فيعرفن كيف يجزعون أو يحتملون وكيف يفزعون أو يصبرون وكيف يضعفون أو يقوون وكيف يتجلدون أو ينهارون اما خارج المستشفى وخارج الطائرة فكلهم شجاع وكلهم قوي وكلهم ليث غضنفر وأسد هصور .

● يدخل المرء المستشفى وقد لا يخرج حيا ويركب الطائرة وقد لا يصل سالما . ويكون في السرير تحت العلاج القاسي يفذى بأنابيب ويخرج منه البول بواسطة الشفط وحالته بين اليأس والرجاء ومع هذا نلاحظ بعض أولى العزم من المرضى يحملقون في الممرضات وهم في تلك الحالة . . والمسافر يكون معلقا بين السماء والارض يتأرجح بين الرعب والدهشة قد شد بالحزام فيقرأ آية الكرسي ويتمتم بالمعوذتين وأحيانا ينظر الى المضيئة خلصة بطرف العين .

والان تعالو نطف مع بعض الشعراء ونسبح بأجنحتنا في السماء ثم نهبط الى الارض .

في عام ١٩٥٩ سافر الى دمشق طائفة من شعراء مصر لحضور مهرجان الشعر الذي اقيم بسورية وفي جوف الطائرة كانت المضيئة الحسناء « فاندا » تخطر بين الصفوف بهندامها البديع وقوامها المشوق ووجهها المشرق وثغرها البسام فتخلق جوا رقيقا مشبعا بالاريج المسكر وتهاويل الاحلام المبهجة وكانت ابتسامتها الوديعه مبعث الامن والطمأنينة في النفوس .

وكانت حلوياتها التي توزعها على الركاب تسميهم محاذير الشر وكان سمتها الباهر الذي يشبه سمت الملائكة في هذا الافق الشعري الموشى الذي نحس فيه قربنا من الملأ الاعلى والذي يؤمن فيه الكافر ويتقي الفاجر ، يضي على القلوب بشاشة الايمان ويصلها بمصدر الجمال وخالق الجمال ومحب الجمال البارئ المبدع المصور . **تبارك الله أحسن الخالقين .**

كانت « فاندا » تقدر ما وهبها الله من سحر وفتون وكانت تعرف ان هذه العصابة التي تناوشتها من كل جانب هم شعراء يستهويهم الجمال ويدركون من مفاتنه ما لا يدركه غيرهم .

وأخرج احدهم ورقة كتب فيها الشاعران محمد فوزي العنتيل ومحمد محمد علي قصيدة مشتركة :

يا	حلو	كالسكر	وغضة	كالزهر
تخطري	تخطري	فوق	الريبع	الأخضر
وخالطي	أرواحنا	مثل	نسيم	السحر
يا مشرق النور	الذي	هفا	اليه	بصري
وجنة	الخلد	التي	أهدي	اليها
عمري				

ومرت الورقة على جماعة آخرين من الشعراء فأضاف اليها علي أحمد باكثير قوله:

رحمك	شاعر	هنا	جودي	له	بالنظر
جودي	بنصف	قلبة	تنقذه	من	سقر
سافر	يبغي	وطرا	وانت	كل	الوطر

ومرت الورقة على الاستاذ علي الجندي فنظم قصيدة طويلة نختار منها هذه الابيات :

رعاك	الله	يا	« فندا »
الى	اكبادنا	الوجد	دا
ولا	برحت	عنايته	ه
واجراه	على	الاقبال	
راينا	الحسن	في	وجهه
فكبرنا	وسبحنا		
وقلنا	هذه	حورا	

وحاط	جمالك	الفردا
وصان	محاسن	أهدت
« لطيرك »	في	السرى
جندا	اما	خب
أوشدا	تجلى	كوكبا
سعدا	وأزجينا	له
الحمدا	شاهدنا	بها
« الخلد	دا	»

وقال الشاعر عبد الرحمن صدقي بعد هبوط الطائرة وكأنه يودعها ويودع  
مضيفتها اللطيفة :

كانها الملاك في خيالي	مضيفة تخطر في الأعالي
في غير ما كبر ولا اختيال	لطيفة الخطوة والتثني
طارت بعقلي وقضت خيالي	بسمتها الحلوة في حياء
فزاد أميالا علي أميالي	أنت التي أعليت من تحليقتنا
لم نهبط الأرض من الأعالي	يا ليتنا في الجو ما برحنا

وهكذا يتمنى الشاعر لو بقي مخلقا في الجو مع من أحب قريبا من عالم الصفاء  
وسماء الملائكة حيث لا حاسد ولا عذول مبتعدا عن الأرض وعالم الطين حيث الصدام  
والصراع الرهيب بين الآدميين .

ونترك « فندا » وحزبها لنلتقي مع الشاعر السعودي محمد بن علي السنوسي  
في قصيدته التي عنوانها « شد الحزام » وركوب الطائرة أسر واعتقال فالانسان  
أسير المقعد لا يستطيع التحرك الا بأذن من جاره وفك لحزامه فإذا انفك من أسر  
الحزام والمقعد وقع في أسر آخر وقيد معنوي ذلك هو فتنة المضيفات الحسنات  
فأله ما أعجب هذه الحياة التي طوقت الانسان بالقيود الحسية والمعنوية في الأرض  
والجـو .

جذابة كشماع نجمه	رسمت على الشفتين بسمة
في يد القناص سهمه	ورنت رنو الظبي أبصر
لحاظها والحسن زحمه	تتراحم اللاحاظ حول
وما اليمام يهز جسمه	ومشت فما خطو الحمام
فتنة وترق خدمه	تهتز اعطافا وتفري
نبره وأرق نغمه	وتكلمت فسمعت أرخم
لساتها كعصير كرمه	تتساقط الألفاظ تحت
وأقول لست أجيد حزمه	شد الحزام تقولها
تشده وتفرض ختمه	أنا خصم كل يد سواك
خصائلا كالليل ظلمه	مدت أناملها تزيح
فوق جبينها نورا ونسمه	فبدى ضياء الفجر
حبه خلق وحشمه	قلبي يحب وانما في
ولا يبيح لهن حرمه	ويهمم بالغيد الحسان

ونعود للشاعر عبد الرحمن صدقي فقد كان يكره الخروج للمطار في وداع  
أو استقبال ولكن مضيفة في الخطوط الجوية السورية جعلته يسعى للمطار طرفي  
النهار وزلفا من الليل لعله يراها أو يرى من رآها .

جنوني بها سيان في القرب والبعد	بنفسي سقيم الطرف مهزومه القيد
أو أني حمال لاهواله وحدي	فهل بك منه يا ابنة الشام بعضه

وقلبي بليلى من جهالته مردى  
رسول ولا جادت رسائل بالرد  
فهل أنت مثلى ما برحت على العهد  
فأصبحت أسعى للمطار بلا وفد  
ولكن عودي للحمى اليوم عن عهد  
ولا علم لي أن كنت مبلغتي قصدي

لقد كان يمضي العام منذ لقائنا  
فما اختلفت بيني وبينك في الهوى  
أيا جارة الوادي هوأي كعهده  
كرهت ركوب الريح من قبل موفدا  
وكان اتفاقا أن تطرقت للحمى  
أعاود فوق السحب حجي قاصدا

والآن وقد أعيانا التحليق والطيران فلنهبط الى الأرض بسلام ( فما طار طير  
وارتفع الا كما طار وقع ) ولنتجه من المطار الى المستشفى لنزور شاعر العرب الكبير  
أحمد الصافي النجفي فقد طال مكثه في المستشفى وهو لا يريد الشفاء السريع لئلا  
يفارق من أحب .

وفي مقلتيك عشقت الذبولا  
وأما نطقت سلبت العقولا  
ويحسد فيك الصحيح العليلا  
وحبك يولى الضنى والنحولا  
لئلا يكابد عنك الرحيلا

بخديك أحببت زهو الورود  
إذا ما نظرت سبيت القلوب  
ينافس فيك العليل الطيب  
تمرض كفاك أهل السقام  
عليك ليس يريد الشفاء

ولا يبعد شاعرنا النجفي عن نظيره صدقي فتحمل الألم بقرب الحبيب خير من  
الشفاء الذي يبعده عنه فهو لا يريد أن يبرا حتى لا يبارح من نظراته تسبي القلوب  
ومسة منه تجري الكهرباء في الجسم .

فمرضت من حذري عليه  
فشفيت من نظري اليه

مرض الحبيب فزرتيه  
وأتى الحبيب يزورني

وأصيب الشاعر محمود سليم الحوت بكسور في الأضلع وشرخا في الجسم  
عطله عن الوثب والقيام ولكن من تقوم بتمريضه أنسته ذلك العذاب وكانت له عوضا  
عن نشاطه فتد له يدها إذا رغب القيام وترفده بصدرها إذا مال وتعضد له إذا سار  
فلا تثريب عليه إذا هتف قائلا :

وكسرا بضلعي وشرخا أرض  
وجرحا بداخله قد أمض  
وان كان جفني له ما غمض  
على ظهره كالذي قد ربض  
وان شاء كالليث وثبا نهض  
لضاقبت بجسمي روحي مضض  
وقد كنت لي عن نشاطي عوض

فمرضت كدت أنسى المرض  
وأوجاع صدر وهي عظمة  
وآلام نفس تعاف الرقاد  
كرهت انطراحي وليس الطريح  
إذا شاء نام قريـر الجفون  
فلولاك أنست ملاكي الحنون  
لقد كنت لي شمس عمر جديد

ونلتقي بالشاعر ابراهيم طوقان الذي هام بناعمة اليبدين واستشفت مهجته

بالغيد الحسان حتى قرر أن نظرة من الممرضة تشفي قبل ابرة الآسى . وأقول  
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اذكر ما قاله الآخر :

ويلاه ان نظرت وان هي اعرضت وقع السهام ونزعهن اليم

ولكن شاعرنا المعلم ابراهيم يقول والله لو اقترفت اعظم ذنب في الوجود ثم  
جاءتني بعده بعذر واه لغفرته لها على ما كان منها ولا ابالي . . ومن هنا صدق من  
قال « الحسن مرحوم » وكلما يفعل المحبوب محبوب .

يا حلوة العينين يا قاسيه	سرعان ما أصبحت لي ناسيه
أما أنا فليست أنسى يدا	ناعمة تجود بالعافيه
لئن شفي الطب ضنى عارضاً	فمهجتي أنت لها شافيه
وابرة الآسى على نفعها	افعل منها نظرة ساجيه
تبثها عيناك في اضلعي	فياضه بعطفها آسيه
تألم قلباً نكأت جرحه	فعاد يهوى مرة ثانيه
وتطفئ النار التي حركت	فأرجعتها زفرة حاميه
قيصرة الحسن الا اشتكي	اليك من جورك يا طاغيه
هل كان نسيانك لي هفوة	أم خطه اشراكها خافيه
سيدتي ذنبك مهما يكن	تغفره أعذارك الواهيه

ولطوقان في ملائكة الرحمة قصيدة أخرى شبه فيها الحائم بالمحسنات الى  
المرضى وهو تشبيه جد موفق فالمرضة في مشيتها ونعومة ملمسها وبياض ثيابها  
ورقة صوتها تقترب من الحامة كثيراً وتلتقي معها في أوصاف عدة . وأشباه متعددة :

بيض الحائم حسبهن	أنى أردد سجعهنه
رمز السلامة والوداعة	منذ بدء الخلق هنه
في كل روض فوق دانيه	القطوف لهن أنه
ويملن والاغصان ما	خطر النسيم بروضهنه
فاذا صلاهن الهجير	هبن نحو غدير هنه
يهبطن بعد الحوم مثل	الوحي لا تدري بهنه
فاذا وقعن على الغدير	تربت أسراهنه
صفين طول الضفتين	ترجيا بوقوفهنه
كل تقبل رسمها	في الماء ساعة شربهنه
يطفنن حر جسمهن	بغمسهن صدورهنه
يقع الرشاش اذا	انتفضن لأثنا لرؤوسهنه
ويطرن بعد الابتعاد الى	الغصون مهودهنه
تنبيك أجنحة تصفق	كيف كان سرورهنه
ويقر عينك عبثهن	اذا جثمن بريشهنه

وتخالهن بلا رؤوس  
أخفينها تحت الجناح  
كم هجنتي ورويت عنهن  
حين يقبل ليلهنه  
ونمن ملء جفونهنه  
الهديل فديتهنه

\* \* \*

الحسنات الى المريض  
الروض كالمستشفيات ،  
ما الكهرياء وطبها  
يشفي العليل عناؤهن  
مر الدواء بفيك حلو  
مهلا فعندي فارق  
فلربما انقطع الحائهم  
أما جميل الحسنات  
غدون أشباهها لهنه  
دواؤها ايناسهنه  
بأجل من نظراتهنه  
وعطفهن ولطفهنه  
من عذوبة نطقهنه  
بين الحمام وبينهنه  
في الدجى عن شذوهنه  
ففي النهار وفي الدجنه

ونفادر الشاعر المتيم طوقان الى القاهرة وملتقي بالشاعر السعودي الشيخ محمد بن بليهد حيث كان يستشفى من داء لم ينفع فيه نطس الاطباء وانما أجدى معه لس كف « سعاد » وطلعة « فائزة » وهما ممرضتان مليحتان كانتا تقومان على خدمة الشيخ والعناية به فقد كان يأخذ علاجاً بواسطة الجلوسات الكهربائية فيحس اثر ذلك في الكتفين والركبتين . وكان يشاركه في العلاج بنفس المستشفى اللواء منصور العساف من رجال الجيش السعودي . وهكذا اجتمع على الشيخ واللواء هز الكهرياء وانتفاض الشوق . نلاحظ ذلك في القصيدة الاولى التي نظمها الشيخ . وفي القصيدة الاخرى التي قالها ايضا على لسان صديقه منصور في الممرضتين نفسيهما :

رايت غزالا في الضحى كامل الوصف  
فاما التي بالكثف تذكي بكهرب  
تفاعلت من كمي سعاد سعادة  
خليلي هل تأسو المراض خريدة  
لعمري ما دائي سوى نظراتها  
وقد عالجوا نصفي بكف رقيقة  
اذا طفقت كلتاهما في علاجها  
وما انا الا في هواهم متيم  
كوتني بنار في فؤادي وفي كتفي  
وهايك تذكي بالملاحه واللف  
وفائزة فوزا فطلعتها تشفي  
بقامتها الهفاء سهم من الحنف  
وبلسمي الثافي لديها وما أخفي  
وبالسحر من عينيها اهلكوا نصفي  
رايت المنايا من أممي ومن خلفي  
ضعيف القوى شيخ فهل رحموا ضعفي

وجاء في القصيدة الثانية على لسان زميله منصور العساف :

اذا دعيناك فاهرج ايها القمر  
أما محمد قد زالت شكيتيه  
قال احترز من غزال كلما طلعت  
هل عندكم من علاج الكهري خبر  
وليس في كتفه مما شكا اثر  
فليس في عودها طول ولا قصر

إذا رأيت الثايبا الغر باسمه      هناك من بينهن الموت ينتظر  
في ركبتيك ترى للكهرباء أثر      يطمئ للقلب من جرائه شرر

وهكذا أيها السادة لم يستطع المدفع مع اللواء منصور ولا القلم مع الأديب محمد  
أن يقفا في وجه الحسن والجمال وأي قوة في الأرض تستطيع أن تقاوم قوة الملاحه  
في الوجوه والجاذبية في الاجسام .

فاذا جاءت مواكب الوسامة والجمال فلا عاصم في ذلك اليوم من أمر الله من  
رحم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





## شبه الجزيرة العربية تهدي الحكمة للعالم قبل قرون طويلة

بقلم الاستاذ : حمد الزيد

يسر النادي أن ينشر نص المحاضرة التي قدمها الاستاذ حمد الزيد رئيس نادي الطائف الادبي للمؤتمر الرابع للكتاب الآسيويين الدولي المنعقد في تايبيه بالصين الوطنية في الفترة من ٢٥ ابريل وحتى ٢ مايو ١٩٧٦ م والتي ترجمت الى اللغتين الصينية والانجليزية وستصدر ضمن مطبوعات المؤتمر الذي اشترك فيه حوالي مئة كاتب آسيوي من عدة دول .

وقد سافر رئيس النادي الى الصين الوطنية ضمن الوفد السعودي الذي ضم ثلاثة أشخاص هم :

- ١ — الدكتور عبد الله الزيد نائب رئيس نادي مكة الثقافي .
- ٢ — الاستاذ الشاعر حسن عبد الله القرشي عضو نادي جدة الادبي .
- ٣ — الاستاذ الشاعر حمد الزيد رئيس نادي الطائف الادبي .

وقد افتتح المؤتمر رئيس جمهورية الصين الوطنية واشترك الاستاذ فوزي شبكشي القائم بالأعمال السعودي في تايبيه في جلسة الافتتاح ضمن الوفد السعودي .



## ( شبه الجزيرة العربية تهدي الحكمة للعالم قبل قرون طويلة )

أيها السادة :

في البقعة الواقعة في جنوب غربي قارة آسيا توجد منطقة جغرافية تسمى شبه الجزيرة العربية وتبلغ مساحتها قرابة ثلاثة ملايين كيلو متر مربع ويسكنها الشعب العربي الذي ينحدر من العنصر السامي وهو من سلالة البحر المتوسط ويحدها من الغرب البحر الاحمر ومن الشرق الخليج العربي ومن الجنوب المحيط الهندي .

من هذه البقعة التي تشغل معظم مساحتها اليوم دولة فتية هي « المملكة العربية السعودية » التي اتم وحدتها سنة ١٩٣٢ م . **مناضل عظيم هو الملك عبد العزيز آل سعود** بعد نضال مرير دام حوالي اربعين عاما وحقق بذلك اول وحدة عربية في التاريخ المعاصر من هذه البقعة خرجت الحكمة قبل قرون طويلة واستمرت تصدرها للعالم حتى اليوم .

قبل خمسة آلاف سنة ظهر من هذه البقعة المباركة اول هجرة بشرية اتجهت الى الشمال وسكنت الساحل الشرقي للبحر المتوسط وهو المعروف اليوم ببلاد الشام ( سوريا ولبنان وفلسطين والاردن ) وعرفت هذه الاقوام السامية من اجدادنا بالفينيقيين .

والفينيقيون هؤلاء هم اول من ركب البحر وبنوا السفن وصنعوا الزجاج واقاموا المستعمرات التجارية كأرواد وجبيل وقرطاجة وغيرها واصبح البحر المتوسط بفضل نشاطهم التجاري بحيرة فينيقية . . لكن اعظم انجاز قدموه للحضارة الانسانية واحدثوا به ثورة فكرية لم يتكرر مثلها حتى الان واقتصد بذلك اختراعهم **للأبجدية** . . . لقد كان العالم المتحضر قبل الفينيقيين يكتب حضارته ويسجلها بالصور أو ما يسمى بالهيروغليفية ثم اصبح يكتبها بالأبجدية بفضل الفينيقيين الهجرة السامية من الجزيرة العربية وبذلك تقدم الفكر وانتشرت الثقافة وتكونت اللغات وانتشرت الاديان والفلسفات .

وهاجر من الجزيرة العربية اقوام سامية أخرى كونت حضارات زاهرة علمت العالم الحكمة واقتصد بهم « **البابليون** » الذين سكنوا ما يسمى بالعراق حاليا وكان قانون « **حمورابي** » قبل ثلاثة آلاف سنة من ميلاد المسيح عليه السلام خير شاهد على عظمة الحكمة السامية ودقة تفكير اجدادنا الساميين وينظم هذا القانون العلاقات الاجتماعية وحقوق الأفراد بما فيها حقوق المرأة والحقوق السياسية والقضائية ويقع في مائتين وثمانين نصا قانونيا لا تختلف في جوهرها عن القوانين المطبقة في ارقى الدول اليوم .

ليس هذا فحسب بل اثر سكان **الجزيرة العربية** على الحضارة **الفرعونية** في

مصر اذ هاجر الهكسوس أو ما يسمى « ملوك الرعاة » اليها وحكموا مصر فترة من الزمن في الالف الثاني قبل الميلاد .

وقبل الاسلام استطاع **عرب اليمن** جنوب الجزيرة العربية أن يصدروا حكمتهم الى آسيا وافريقيا وحوض البحر المتوسط اذ أسسوا حضارة متقدمة اعتمدت الى جانب الحكمة على تنظيم الزراعة والري حيث بنوا أول سد في العالم وهو المسمى بسد **مارب** وبنوا أول **ناطحة سحاب في العالم** وهو **قصر « غمدان »** وامتد ملكهم الى غرب الصين حيث فتحوا مدينة « سمرقند » الموجودة في جنوب الاتحاد السوفياتي اليوم وظهر لهم دول عظيمة كسباً ومعين وحميز وقتبان ، وبسطوا نفوذهم على الساحل الشرقي لافريقيا والحبشة ( اثيوبيا ) .

وتتجلى حكمة العرب الذين عاشوا فترة تاريخية محدودة تسمى بالجاهلية وهي الفترة التي سبقت ظهور الاسلام بحوالي قرن ونصف وسميت بال**جاهلية** نظراً لجهل العرب **بالدين** وليس لجهلهم بالعلم أو الحكمة اذ كان فيهم **شعراء عظام وحكماء** لا زلنا نقرأ آثارهم الفكرية ونعجب بحكمتهم حتى اليوم .

**كاظم وقس بن ساعدة وأمية بن أبي الصلت وزهير بن أبي سلمى وامرئ القيس وعنترة وطرفة ابن العبد ولبيد بن ربيعة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وعروة بن الورد والشنفري والأعشى وعبيد بن الأبرص وقيس بن الخطيم** وغيرهم من عشرات الأسماء اللامعة في سماء الحكمة والشعر والقيم الانسانية .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نقتطف بعض حكم هؤلاء العظام ليتبين للسامع الكريم كيف كان هؤلاء المفكرون يفكرون قبل حوالي ستة عشر قرناً من الزمان .

يقول الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص :

أفلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الأريب  
والمعنى : « أبشر بالفوز وان كنت ضعيفاً فقد يظفر الضعيف بمطالبه ويخدع العاقل فلا تتحقق مطالبه » .

وقوله :

لا يعظ الناس من لا يعظه الدهر ولا ينفع التلييب  
والمعنى : « ان الذي لا يرى في حوادث الدهر عبرة يعتبر بها لا يصلحه الارشاد ولا تكلف الرزاة والتعقل » .

وقوله :

لا ينفع اللب عن تعلم الا السجيات والقلوب  
والمعنى : « لا يغني العقل عن التعلم الا في حالة ما تجود به طبيعة الانسان من ناحية القلب أو الفرائر » .

وقوله :

فلقد يعودن حبيبا شائى ويرجعن شائنا حبيب  
والمعنى : « قد يصبح العدو صديقا مخلصا وينقلب الصديق المخلص الى عدو لدود » .

وقوله :

ساعد بأرض اذا كنت بها ولا تقل انني غريب  
والمعنى : « عاون الناس اذا حلت بديارهم وسائرهم في كل ما يعملون ويقولون ولا تقل انك غريب لا شأن لك بهم » .

وقوله :

من يسأل الناس يحرموه      وسائل الله لا يخب  
والله ليس له شريك      علام ما أخفت القلوب  
بالله يدرك كل خير      والقول في بعضه تلغيب  
والمعنى : « واضح في هذا البيت فقد استطاع هذا الشاعر أن يدرك بحسه وعقله الوجدانية لله تعالى قبل ظهور فترة الاسلام » .

ثم يأتي حكيم آخر ولعله أشهر الحكماء من شعراء العرب قبل الاسلام ويدعى  
— زهير بن أبي سلمى — ونختار على سبيل المثال هذه الأبيات المشهورة له :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش	ثمانين حولا لا أبالك يسأم
رايت المنايا خبط عشواء من تصب	تمته ومن تخطى يعمر فيهرم
واعلم علم اليوم والامس قبله	ولكنني عن علم ما في غد عم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة	يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه	يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله	على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يذ عن حوضه بسلاحه	يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن هاب أسباب المنية يلقتها	ولو رام أسباب السماء بسلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه	ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرئ من خليفة	وان خالها تخفى على الناس تعلم

هذه الأبيات التي تطفح بالحكمة الانسانية قيلت قبل حوالي الف وستمئة سنة من شاعر لم يدخل المدارس او المكتبات لكن شعره وحكمته مصدر بحث ودراسة من قبل دارسي الدكتوراه والاباء والفلاسفة في العصر الحاضر .

فهو في البيت الاول من القصيدة يعالج سام الحياة ولا سيما بعد بلوغ الانسان سن الثمانين وفي البيت الثاني يتطرق الى القدر . وفي الثالث يحث على السلوك الحسن

في التعامل وفي البيت الخامس يرى أن عمل الجميل والكرم يعطي الإنسان قيمة حسنة ويجعل سمعته طيبة وفي البيت السادس يحث ذوي الأموال على الاتفاق على ذويهم وأصدقائهم حتى لا يذمون وتنقطع علائقهم بهم ، وفي البيت السابع يحث على القوة في الدفاع عن النفس والوطن لأن الإنسان إذا لم يكن قويا ويستطيع الدفاع عن نفسه يظلم من قبل الآخرين ولا يسلم من الأذى والاعتداء ، وفي البيت الثامن يحث الشاعر الإنسان على عدم الخوف من الموت والهروب من الواقع لأن الخوف لا يرد الموت حتى ولو صعد الإنسان إلى السماء ونحن نرى في العصر الحاضر كيف يموت الناس في الطائرات بين السماء والأرض أو في المركبات الفضائية خارج نطاق الجاذبية. وفي البيت التاسع يقول الشاعر أن الإنسان عندما يغترب أو يسافر لغير دياره فإنه لا يفرق بين الصديق من العدو لجهله بالبيئة وأن الذي لا يحترم نفسه لا يحترمه الغير . وفي البيت العاشر يعالج الشاعر قضية نفسية مهمة وهو أن الإنسان يجب أن يعيش طبيعيا بدون تكلف لأنه أن أخفى عييه بواسطة الكذب أو النفاق فسيكتشف أمره بواسطة عمله .

وهذا حكيم آخر لكنه ليس بشاعر قبل الإسلام ويسمى « أكثم بن صيفي » ويقول في رسالة طويلة وجهها إلى النعمان ملك العرب :

« رب سامع بخبري لم يسمع بعذري ، كل زمان لمن فيه ، كفوا ألسنتكم فان مقتل الرجل بين فكيه ، أن قول الحق لم يدع لي صديقا ، الصدق منجاة ، في طلب المعالي يكون العناء ، ويل لعالم أمر من جاهله ، البطر عند الرخاء حمق ، والعجز عن البلاء أمن ( أي ضعف الرأي والعقل ) ، لا تجيبوا فيما لم تسألوا عنه ، ولا تضحكوا فيما لا يضحك منه ، حيلة من لا حيلة له الصبر ، كونوا جميعا فان الجمع غالب ، تناؤا في الديار ولا تباغضوا ، الزموا النساء المهابة ، أن تعش تر ما لم تره ، لا تفرقوا في القبائل فان الغريب في كل مكان مظلوم ، الرسول مبلغ غير معلوم ، أساء سمعا فأساء أجابة ، الدال على الخير كفاعله ، قد تجوع الحرة ( أي المرأة ) ولا تأكل بثديها والتواني والعجز ينتجان الهلكة ، أحوج الناس إلى الفنى من لا يصلحه إلا الفنى وهم الملوك ، حب المدح رأس الضياع ، رضا الناس غاية لا تبلغ ، أقصر لسانك على الخير فان القدرة من ورائك ، من قدر أزمع ، جاز بالحسنة ولا تكافئ بالسيئة خير السخاء ما وافق الحاجة ، الصمت يكسب المحبة ، لن يفلب الكذب شيئا إلا غلب عليه الصدق ، الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة وتقربهم مكسبة لقرين السوء فكن من الناس بين القرب والبعد فان خير الأمور أوساؤها ، خير القرناء المرأة الصالحة من لم يكن له من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ وتمكن منه عدوه على أسوأ عمله ، لا ينبغي لعاقل أن يثق بأخاء من تضطره إلى إخوانه حاجة ، أقل الناس راحة الحقوق ، من تعمد الذنب لا تحل رحمته دون عقوبته فان الأدب رفق والرفق يمن » .

وهكذا رأينا من مثال واحد لحكيم عربي عاش قبل ستة عشر قرنا كيف كانت الأمة العربية تفكر وكيف كانت تحلم ، أن القيم الحضارية والتقدم العقلي والروح الإنسانية المتجلية في المقتطفات السابقة تدل دلالة واضحة على أصالة أمنا العربية

وقدرتها على الابداع والخلود ، ان هذه الامة الآسيوية كانت وما تزال وستظل الى الابد مصدر اشعاع حضاري انساني متوهج .

وجاء الاسلام على أحد أبناء شبه الجزيرة العربية « محمد » صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرنا ليهدي حكمة السماء الى الارض ونور الله سبحانه وتعالى الى عياله من البشر ، وكان الاسلام الذي شمع نوره في أرضنا المباركة اعظم هدية قدمتها امتنا العربية الى العالم وأكبر تصدير عقائدي وحضاري في تاريخ العالم وليس المجال هنا مجال استرسال عن معطيات الاسلام ، ودوره التاريخي في تفسير العالم أو مجال شرح لفلسفة الاسلام وقيمه العليا التي حررت الفرد وخلقته من جديد لكن يجدر بنا القاء بعض الضوء على حكمة الاسلام كدين ونظام وحكمة (محمد) كرسول ونبي ومعلم ما دمننا بصدد الحديث عن الحكمة التي صدرتها شبه الجزيرة العربية للعالم قبل قرون وقرون .

فالله سبحانه يقول في كتابه الكريم « القرآن » الذي أوحى به للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلفغه للناس كافة « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .  
ويقول الله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من نكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ويقول تعالى أيضا :

« يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » .

ويقول تعالى أيضا :

« يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذوا الا بسلطان » .

ان هذه الحكم الالهية السامية تشير الى جانب من جوانب التفكير الاسلامي والحكمة الاسلامية التي وردت في القرآن الكريم وتمهد السبيل للوحدة العالمية والاجتهاد الانساني في التقدم والبناء . . .

والقرآن مليء بالشواهد والأمثلة التي تعالج قضايا الانسان الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية وما يختص بسعادته في الدنيا والآخرة على السواء . وعلى سبيل المثال لا الحصر نقتطف نماذج من حكمة النبي « محمد » صلى الله عليه وسلم الذي لم يدخل مدرسة ولم يكن يعرف القراءة أو الكتابة لكنه كان يتمتع بعبقريّة فذة ويكفي ان الله اختاره لحمل رسالة السماء الى الارض نورا وهداية .

يقول « محمد » صلى الله عليه وسلم :

« اطلبوا العلم ولو في الصين » . ويقصد أن البعد الجغرافي يجب أن لا يحول بين الانسان وبين طموحه . ويدل هذا على تمسكه بالعلم وحثه عليه .

ويقول :

- « الحكمة ضالة المؤمن » .
- « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .
- « والله لا يؤمن من بات شبعانا وجاره جائع » .
- « رأس الحكمة مخافة الله » .
- « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .
- « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .
- « التمسوا الرزق في خبايا الارض » .
- « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم » .
- « جبلت النفوس على حب من أحسن اليها » .
- « لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة » .
- « أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة » .
- « اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .
- « ان الله يحب الرفق في الأمر كله » .
- « ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت » .
- « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » .
- « العالم والمتعلم شريكان في الخير » .
- « من تواضع لله رفعه » .

هذه بعض أمثلة قصيرة من حكم رسول البشرية « محمد » ، أما سلوكه ورحمته وتسامحه وإنسانيته فقد تجلت كأروع ما يكون التجلي فقد آخى بين القبائل العربية التي كانت الخلافات تمزقها ووجد شبه الجزيرة العربية كنواة لتوحيد العالم وكان عالمي النزعة والتفكير وقد تسامح مع من لم يدخل في دين الاسلام من النصارى واليهود فقال :

« من أذى ذميا فأنني خصمه يوم القيامة » .

والذمي هو من لم يدخل في الاسلام . وكان يؤمن بنبوة من قبله من الأنبياء كعيسى عليه السلام وموسى وغيرهما من الأنبياء الأطهار .

لذلك عاش النصارى واليهود جنبا الى جنب مع المسلمين كرامتهم مصونة وحقوقهم محفوظة وكان اليهود في المدينة في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يتمتعون بحقوق المواطنة ولم يحاربهم الرسول محمد الا بعد أن حاربوه وتآمروا عليه وخانوا العهود والاتفاقيات المعقودة بينهم وبينه فحاربهم دفاعا عن النفس .

واليوم وبعد مرور أربعة عشر قرنا على ظهور الاسلام الذي رسخ بفلسفته



أسس العدل بين المسلمين وغيرهم من الشعوب غير المسلمة نجد اليهود — الصهاينة — يحتلون أرضا عربية هي — فلسطين — التي كانت للعرب على مر التاريخ وطنا اذ سكنها الكنعانيون وهم من الأقوام السامية التي هاجرت من الجزيرة العربية قبل قدوم اليهود في عهد النبي موسى عليه السلام كما سكنها العرب المسلمون بعد ظهور الاسلام حتى قيام ما يسمى بدولة اسرائيل عام ١٩٤٨ م. وتشريد الشعب الفلسطيني من وطنه وأرضه أو تقتيله على يد هذه العصابة العنصرية الهمجية ذات التاريخ المجهول ، والدور الاستعماري الذي تؤديه اسرائيل في المنطقة العربية كحارس ومنفذ لمخططات الاستعمار دور معروف للجميع والحكمة من وجودها ليس حل مشكلة اليهود الذين لا يعرف لهم وطن على مر التاريخ وانما لتنفيذ هذا الدور والمخطط الاستعماري لأن الفلسطينيين ممثلين في « منظمة التحرير الفلسطينية » قد أعلنوا مرارا وتكرارا ومن منبر الأمم المتحدة بأنهم يريدون دولة علمانية تضم العرب من مسلمين ومسيحيين واليهود . لذا فان منطق الحكمة العربية واضح وحضاري أما المنطق الاسرائيلي الصهيوني العنصري فهو منطق معوج واستعماري ومصيره الزوال .

### أيها السادة :

استمبحكم العذر على هذا الاستطراد السريع الذي اقتضته المقارنة التاريخية وأقول بأن الحكمة العربية ظلت تتدفق من شبه الجزيرة العربية وتشع على آسيا وافريقيا وأوروبا والعالم لكن كما تقول المستشرقة الألمانية ( الدكتورة ريغريد هونكه ) في مقدمة كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » :

« . . . ان الناس عندنا وأقولها بمرارة — لا يعرفون الا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة ودورها في نمو حضارة الغرب ، لهذا صممت على كتابة هذا المؤلف وأردت ان اكرم العبقرية العربية وان أتيح لمواطني فرصة العودة الى تكريمها » .

ويقول جوته الشاعر الألماني المعروف :

« وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو كما نجح في هذا محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد » .

وهكذا فقد ولدت العبقرية العربية ولا تزال تلد الحكماء والفلاسفة والشعراء ممن يضيق بهم الحصر . فعلى سبيل المثال : ابن سينا والفارابي والخوارزمي والبيروني وابن مسكويه ، وابن خلدون ، واخوان الصفا ، وابن رشد ، وابن ميمون وابن عربي أولئك الأفاضال الذين عاشوا في فترات تاريخية متباعدة عبر التاريخ العربي الاسلامي الذي امتد من ظهور الاسلام قبل أربعة عشر قرنا وحتى اليوم .

ومن الارض العربية صدرت الحكمة الى أوروبا ففي العصور الوسطى يوم كانت الامبراطورية العربية الاسلامية تمتد من الصين شرقا وحتى فرنسا والمحيط الاطلسي غربا فكانت بذلك اعظم دولة في العالم وكانت الأمة العربية الاسلامية أول

الأمم تمدنا وحضارة وكان الطلاب من أوروبا وآسيا وأفريقيا يفدون الى جامعات وجوامع مكة المكرمة ودمشق والقاهرة والقيروان وبغداد وصنعاء وقرناطة وطليلة ومراكش ينهلون من العلم والثقافة والحكمة العربية . مما أدى الى ظهور عصر النهضة في أوروبا وما تبعه من تقدم صناعي .

### أيها السادة :

واليوم وبعد اغفاء تاريخية استمرت قرابة أربعة قرون تستفيق الأمة العربية من معاناتها التاريخية مع أعدائها الاستعماريين الذين أرادوا لها الهلاك والدمار لكنهم لم يستطيعوا بسبب أصالة هذه الأمة وتاريخها المشرق بالحضارة والحكمة وبدأت جذوتها تنقد من جديد وشمسها تبرز وهي أكثر صفاء ونقاء وكما بدأت الحضارة من الشرق فهي تعود اليه اليوم ، وكما كانت أرض العرب شبه الجزيرة العربية مصدر حكمة إنسانية وعطاء رائع حضارة وعقيدة وقيما فإنها اليوم تبني حضارة مشرقا يقوم على العلم والثقافة والتقدم بقدر ما يقوم على العقيدة والتراث الحضاري والقيم العليا .

### أيها السادة :

اننا في الماضي أهدينا للعالم رسالة الاسلام الخالدة ونور الحكمة النيرة ، والحضارة المتكاملة ، واليوم نستطيع ليس تصدير البترول للعالم فحسب وانما تصدير العقيدة والحكمة والمحبة والسلام . ولا أجد عبارة أختتم بها مقالتي هذه أفضل من عبارة قالها الرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكية مستر نيكسون عندما قابل الملك فيصل رحمه الله في جده .

قال نيكسون : « لقد جئت الى هنا لأتلقى الحكمة من جلالكم » .

## فهرس

ص	الموضوع	المؤلف
٣	في الأدب والحرب .	حسين سرحان
١٣	هل للشعر مكان في التاريخ .	د / غازي القصيبي
٢٣	خولة بنت الأزور .	عبد العزيز الرفاعي
٣٧	الرسول يربي الشباب .	عبد العزيز المسند
٥٣	جوانب من ذاتية المتنبي .	حمد القاضي
٦٣	علاقة اللغة الأدبية بالفنون الأخرى .	فهد الخليوي
٦٩	ثم يأتي أدب الشفـره .	سليمان الحماد
٨٣	نقد لديوان أبيات غزل .	فوزيه البكر
٨٩	الأدب السعودي الحديث في الميزان .	أسيمه الشهيل
١٠٣	النقد العربي الى أين يسير ؟ .	مناحي القثامي
١٠٩	المضيفات والمرضات في الشعر المعاصر .	عبد الرحمن المعمر
١١٧	شبه الجزيرة تهدي الحكمة للعالم .	حمد الزيد



# بحر الندى الزمرد العجم



في ١ / ٢ / ١٣٩٧ هـ

الطائف : المملكة العربية السعودية  
تلفون ( ٢٣٧٧٦ )

**المكرم الاستاذ الفاضل**

**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :**

فيعتزم النادي الادبي بالطائف اصدار كتاب عن القصة السعودية وآخر عن البحوث والمقالات وديوان للشعر السعودي في ثوب جديد يواكب النهضة والتطور في بلادنا على ان تضم هذه الكتب انتاج صفوة من رجالات الفكر والادب .

والنادي هو يدرك تمام الادراك بانكم من خيرة رجالات الفكر وأدبائنا الأعلام الذين يرتكر عليهم ، وهو في طريق اصدار هذه الكتب يسره ان يدعوكم للاسهام بتزويدنا بمختارات من انتاجكم مع كتابة نبذة عن حياتكم الادبية .

واننا لعلي ثقة بأنكم ستقدرون عظم هذه المهمة ولن تتوانوا ان شاء الله عن المساهمة معنا في هذا العمل والوقوف بجوارنا ونحن نسعى الى هدف كبير نروم تحقيقه ولن نستطيع الا بتجاوبكم معنا .

وفي انتظار مقالاتكم أو بحثكم أو قصتكم أو شعركم ، تقبلوا تحيات أعضاء نادي الطائف الأدبي وشكرا .

**نادي الطائف الأدبي**



## مطبوعات نادي الطائف الأدبي

- ١ — سوق عكاظ في الأدب والتاريخ اعداد لجنة التراث
- ٢ — البحث عن ابتسامة ( مجموعة قصص ) محمد المنصور الشقحاء
- ٣ — مسيكنة ( شعر شعبي ) سعد الثوعي الغامدي
- ٤ — شبه الجزيرة تهدي الحكمة للعالم ( محاضرة ) حمد الزيد
- ٥ — هل للشعر مكان في القرن العشرين ( محاضرة ) د / غازي القصيبي
- ٦ — رحلة العمر ( شعر ) علي حسين الفيبي
- ٧ — فلسفة السلام هشام محي الدين ناظر
- ٨ — ملف النادي الاول اعداد النادي
- ٩ — خطرات في الادب والفلسفة حمد الزيد
- ١٠ — معناه ( شعر ) محمد المنصور الشقحاء
- ١١ — ذكريات أحمد علي
- ١٢ — نظرات في الادب والتاريخ والأنساب علي حسن العبادي
- ١٣ — أجنحة بلاريش ( شعر ) حسين سرحان
- ١٤ — صور من المجتمع والحياة علي خضران القرني
- ١٥ — رجل على الرصيف ( مجموعة قصص ) عبد الله سعيد جهمان
- ١٦ — المضيفات والمرضات في الشعر المعاصر ( محاضرة ) عبد الرحمن المعمر
- ١٧ — خواطر في التنمية ( محاضرة ) د / غازي القصيبي

نادي الطائف الأدبي

الطائف — قروى

تلفون ( ٢٣٧٧٦ )

مطابع الزايدي للأونست — الطائف